بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية وآدابها

العدول في شعر سعاد الصباح

The Alteration in Su'ad alsubah's Poetry

إعداد

شافي محمد سيف العازمي

(١٤٧٠٣٠١٠٠٢)

إشراف

الدكتور محمود محمد رمضان الديكي

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

اللغة العربية وآدابها

عمادة الدراسات العليا

جامعة آل البيت

الفصل الصيفي

٢٠١٧/٢٠١٦

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

التفويض

أنا الطالب " **شافي محمد سيف العازمي**" أفوض جامعة ال البيت بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

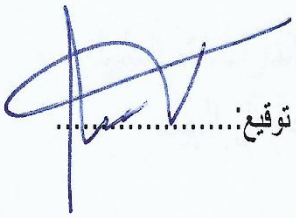

توقيع:.....

التاريخ: 13/ 8 / 2017

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عمادة الدراسات العليا
جامعة آل البيت

قرار لجنة المناقشة

العدول في شعر سعاد الصباح

إعـــداد الطالب:شافي محمد سيف العازمي

الرقم الجامعي :1470301002

إشراف :الدكتور محمود محمد الديكي

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
1 .الدكتور محمود محمد الديكي	مشرفاً ورئيساً	
2 .أ.الدكتور سعيد جبر أبو خضر	عضواً	
3. الدكتور حسين ارشيد العظامات	عضوا	
4.الدكتور علاء الدين أحمد غرايبة	عضواً/ مناقشاً خارجياً	

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصى بإجازتها بتاريخ:13 / 8 /2017م .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهداء

إلى وطنى العزيز الكويت

إلى وطنى الثانى الأردن

تحية اعتزاز وعرفان وامتنان

الباحث

شافي محمد سيف العازمي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشكر والتقدير

ورد فى الأثر عن الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) أنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس، ولا يسعنى، وقد أنعم الله على بإتمام هذه الرسالة المتواضعة، إلا أن أشكر من ساندنى، ومد يد العون مخلصة حتى اكتمل هذا العمل، واستوى على سوقه بحمد الله ، وفى مقدمة من يستحقون الشكر أستاذى الأستاذ محمود محمد رمضان الديكى لعلمه الغزير، وأخلاقه العالية، إذ لم يبخل على الطالب بعلم أو نصح أو مشورة، والشكر موصول للسادة أعضاء لجنة مناقشة الدراسة الذين سيستنير الباحث بوجهات نظرهم، وملاحظاتهم القيمة بدون شك، كما أتوجه بشكرى إلى السادة أعضاء الهيئة الإدارية في كلية الآداب بجامعة آل البيت الغراء لما أسدوه من خدمات مشكورة لمساندة الباحث وتذليل الصعوبات الإدارية وفى الختام يسرنى توجيه الشكر لأسرتى الكريمة التى وقفت بجانبى بكل إخلاص حتى أتم الله هذا العمل على خير، وأسال الله العلى القدير أن يجزل عطاء الجميع، وأن يبارك فى أعمارهم وأعمالهم، والله ولى التوفيق

الباحث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات ..... و
الملخص ..... ز
Abstract ..... ح
مقدمة ١
مشكلة الدراسة ٣
أهمية الدراسة: ٣
فرضيات الدراسة ٣
منهج الدراسة: ٤
خطة الدراسة ٤
الدراسات السابقة: ٤
الفصل التمهيدى ٧
المبحث الاول حياة الشاعر سعاد الصباح ومشروعها الثقافى وتجربتها الشعرية ٧
المبحث الثانى العدول وعلاقته بالموروث العربي ١١
الفصل الاول العدول التركيبي فى شعر سعاد الصباح ١٨
المبحث الأول : مفهوم العدول التركيبى ١٨
المبحث الثانى : صور العدول التركيبى وتطبيقاتها فى شعر سعاد الصباح ١٨
الفصل الثانى العدول الصرفي فى شعر سعاد الصباح ٣٦
المبحث الأول: مفهوم العدول الصرفى: ٣٦
المبحث الثاني : العدول الصرفي في الدرس اللساني، قديمه وحديثه ٣٧
المبحث الثالث : العدول عن الأصل عند الشاعرة سعاد الصباح ٥١
الفصل الثالث العدول الدلالى فى شعر سعاد الصباح ٧٣
المبحث الأول: العدول الدلالي ودوره في الإبداع الأدبي ٧٣
المبحث الثانى : العدول الدلالى فى شعر سعاد الصباح ٨٠
الخاتمة والنتائج والتوصيات ٨٧
التوصيات: ٨٩
قائمة المراجع والمصادر ٩٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العدول في شعر سعاد الصباح

إعداد

شافي محمد سيف العازمي

إشراف

الدكتور محمود محمد رمضان الديكي

الملخص

موضوع هذه الدراسة هو دراسة ظاهرة العدول وتطبيقاتها فى شعر سعاد الصباح، فهو يهدف تحديدا إلى التعرف على مدى وجود هذه الظاهرة فى شعر الشاعرة ومدى دورانها فيه بما يوضح مدى امتلاك الشاعرة لأدواتها الفنية، ومنها اتقانها وأساليب هذه التقنية البلاغية الأسلوبية وأساليبها .

وقد انتظمت الرسالة فى فصل تمهيدى من مبحثين، عرّفنا في الأول بالشاعرة إنجازاتها الثقافية ومكانتها الأدبية ، كما عرفّنا فى الثانى بظاهرة العدول وفق ما وردت فى تراثنا العربى، وفى الفصول الثلاثة التالية خصصنا كل فصل بصورة من صور العدول، فالفصل الأول اختص بالعدول التركيبى، والفصل الثانى بالعدول الصرفى، والفصل الثالث بالعدول الدلالى، وقد واستخلص تعريف لكل نوع ، والتعريف بالصور والأشكال، وطبق المفهوم على شعر سعاد الصباح مستقصيا مدى وجود تلك الصور وشيوعها، وقد انتهت الدراسة إلى تأكيد وعى الشاعرة بأهمية استخدام العدول بأنواعه ، وإلى التعرف على أكثر الأشكال شيوعا لديها وهو العدول الدلالى فالتركيبى، أما العدول الصرفى فكما هو قليل فى الشعر العربى بوجه عام فهو قليل فى إطار تجربة الشاعرة سعاد الصباح.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

The Alteration in Su'ad alsubah's Poetry

Prepared by
Shafi Mohammad Saif Al-Azmi

Supervisor
Dr. Mahmoud Mohammad Al-Deki

Abstract

The objective of this research is to study the phenomenon ofAlteration (Al-Udul) and its applications in Suad Al-Sabah's poetry. It aims specifically at identifying the extent of this phenomenon in her poetry and the extent of its role in it to explore the extent of the poet's possession of its technical tools, including mastering the basics and methods of this stylistic technique.

The resrearch was organized in a preliminary chapter formed of two subjects; the first is introduction to the poet and her cultural achievements and the second is definition and discription of the phenomenon of Alteration in our Arab heritage. In the following three chapters we devoted each chapter for a form of Alteration; the first was focused in structural Alteration, the second was dealimg with morphologicalalterationand the third chapter was about semantic alteration. There is definition of each type with explanation of its types and then each type was applied on Suad Al-Sabah's poetry to check the extent of these types and their prevalence. The research ended with identification of the most commonly type used wgich is Al-Udul by inspiration then the stuctural while the morphological type is little in the context of the experience of Souad Al-Sabah, same as it is little in Arabic poetry in general.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، إلى يوم الدين، أما بعد:

فالشاعرة سعاد الصباح صوت شعري عربي أصيل، تعد من الجيل الثالث من شعراء الحداثة في الكويت، عبرت عن هموم المرأة العربية عامة والكويتية خاصة. وقد استطاعت أن تخط لها على خريطة الشعر العربى الحديث معالم واضحة ، حتى غدت صوتا شعريا مميزا فى إطار الحركة الشعرية العربية بوجه عام ، ويمثل عطاؤها الثر مجالا خصبا للباحثين فى المجالات الأدبية، واللغوية، والأسلوبية.

وقد حظيت الشاعرة بعناية النقاد والدارسين الذين سلكوها في أطر شعرية وفنية مختلفة، فسلكت ضمن أطر الإبداع المنتمي إلى الرومانسية حيناً، أو إلى إطار مدرسة (أبولو) أحياناً. وقد تناول دارسوها محاور كثيرة في شعرها كالمحور الوطني والاجتماعي والوجداني، ومحور الحب والمرأة.

أما هذه الدراسة فتنحو منحى آخر، إذ يتناول الباحث شعرها من زاوية نقدية لسانية أسلوبية حيث يدرس ظاهرة العدول في شعرها، منزوايا متنوعة بغية الكشف عن مدى ما تتمتع به تجربتها الفنية الشعرية وقاموسها اللغوى من ثراء ، وما عسي أن تكون قد أضافت فى مضمار الشعر فى هذا الصدد.

يمتلك مصطلح العدول، بوصفه تقنية أسلوبية فذةً، حضوراً بارزاً في الـدرس اللغوي العربي القديم والحديث ، فقد تنبه الدارسون العرب القدماء إلى سـمة بـارزة مـن سمات الأسلوب العربي وهي سمة المراوحة بين الأساليب والانتقال المفاجئ مـن أسلوب إلى آخر ومن صيغة إلى أخرى ، وقـد أطلقـوا علـى هـذه الظـاهرة مصطلحات عدة منها : المجاز، والنقل، والانتقال، والتحريف، والانحراف، والرجـوع، والالتفات، والعدول، والصرف، والانصراف، والتلون، ومخالفـة مقتضـى الظـاهر، وشجاعة العربية، والحمل على المعنى، والترك، ونقض العادة، وغير ذلك[1]. " وهذه المصطلحات المترادفة تحيل – في محصلتها النهائية – إلـى معنـى الخروج عن الأصل وتركه إلى ما ليس بأصل . وفي هذا الصدد يقول تمام حسان: " الأسلوب العدولي خروج عن أصل أو مخالفة لقاعدة. [2]"

---

[1]- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٢م، ص١٢١.

[2]- المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، حسان تمام، مجلة فصول، القاهرة، عدد٣-٤، ١٩٨٧م ص٢٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والعدول سمة عامة تتصل باللغة الإنسانية بصفة عامة، غير أنها بالنص المكتوب أظهر، أي أنها دائما حاضرة في لغة الإنسان شفوية أو كتابية . وبذلك يغطي منها مساحة واسعة، حيث هو يشمل اللفظ الواحد حتى لو كان أداة عطف، أو(ال) التعريف، أو حروف الجر، أو الأسماء، أو الأفعال، أو الجمل، فهو موجود في كل مظاهر اللغة الإنسانية، وينتشر في كل مستوياتها، الصوتي، والصرفي، والنحوي، والبلاغي، والدلالي.

وسأحاول أن أعطي الموضوع حقه من البحث فى محتلف جوانبه ، وأن أساهم فى رفد الأدب العربى بدراسة تثرى مجال الدراسات الأسلوبية بوجه خاص بما يثري الدراسات الادبية بوجه عام فى حين تبرز بعضا من أو جه العطاء الحضارى لبلدى الكويت وتسهم فى إبرارز وجه من أو جهه الحضارية الفذة وهى الدكتورة الشاعرة سعاد الصباح .

وقد جاءت هذه الدراسة بعد المقدمة والفصل المتعلق بمنهجية البحث ففصل تمهيدى ومبحثين، وثلاثة فصول وخاتمة، تناول الباحث فى التمهيد التعريف بالشاعرة ومكانتها الفكرية وعطائها الثقافى المميز وتجربتها فى مضمار الشعر العربي الحديث ، وما قدمته من إضافة بارزة، ثم عرج على تتبع ظاهرة العدول فى التراث العربى القديم ومن ثم تناول فى كل فصل من فصول الدراسة شكلا من أشكال العدول وتتبع تطبيقاته فى شعر الشاعرة سعاد الصباح ، وفى الختام كانت الخاتمة والنتائج والتوصيات وذيلت البحث من ثم بقائمة المصادر والمراجع التى استندت إليها .

وختاما، لا يسعنى إلا أن أرجع الفضل لأهله وأثنى بالشكر الجزيل لكل من أسهم فى أن يستوى هذا البحث على سوقه ليكون إضافة متواضعة فى مجال البحث الأدبى والأسلوبى فضلا عن إبرازه وجها حضاريا مشرقا لبلدى الكويت، والله من وراء القصد، وهو يهدى السبيل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مشكلة الدراسة وأهميتها وفرضياتها ومنهجها

مشكلة الدراسة

تناول الباحثون والنقاد شعر سعاد الصباح من زوايا متعددة فمنهم من درس مضامينه وما تحمله من توجهات وطنية، أو اهتمامات اجتماعية، أو تحيزات شخصية في محاولة للبحث عن موقعها أو موقع إضافتها الفنية على خريطة تطور الشعر العربي الحديث ، والحركة الثقافية العربية بوجه عام ، وتقدير مدى الإضافة التى أضافتها من خلال نتاجها الشعرى على مختلف الصعد ، ومنهم من ركز على الأبعاد الفنية في عطائها الشعرى من ناحية التوجه الفنى الغالب وجذوره في الاتجاهات الفنية السائدة في الشعر العربي ، و تناول بعضهم في إطار الدراسة الفنية تطور شعرها من العمود الشعرى إلى شعر التفعيلة والتغيرات التى صاحبت ذلك ودلالاته ، بيد أن هذه الدراسة التى بين أيديكم تنحو منحى آخر إذ ترتكز على منهجية الدراسة الأسلوبية التى تسعى لكشف أسرار لغة الشاعرة ، ومميزاتها البارزة، وقد اتخذت ظاهرة العدول مسبارا تجول به خلال العطاء الشعرى الثر للشاعرة لإلقاء المزيد من الضوء على هذه الظاهرة بالغة الأهمية التى شغلت النقاد من قديم و تحظى اليوم باهتمام كبير لدى المهتمين بالدراسات الأسلوبية في الوقت الذى تسعى فيه لتجلية جوانب تتعلق بخصائص شعر الكاتبة ومميزاته .

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تندرج ضمن مجموع الدراسات الأسلوبية التي تستفيد من معطيات البحث اللساني ومخرجاته المتحصلة من تطبيق بعض النظريات اللسانية وعلى رأسها المنحى التحويلي والنظرية التخاطبية على النص الشعري ، ثم إنها تدرس شاعرة لها حضورها في المشهد الشعري العربي بشكل عام والشعر الكويتي بشكل خاص . وهى تستهدف الوقوف على نماذج من هذه الظاهرة الأسلوبية لدى الشاعرة تتجلى بها معالمها، فتضيف جهدا متواضعا إلى الجهود السـابقة التي تناولـت هـذا الشعر، وتقفنا على جوانب من التجربة الإبداعية للشاعرة نفسها.

فرضيات الدراسة

ينطلق الباحث في دراسته لشعر سعاد الصباح من عدد من الفرضيات يحاول إثباتها أو نفيها وهي ما يلى :

١- يشكل العدول ظاهرة بارزة في شعر سعاد الصباح .

٢- طال العدول جميع المستويات اللسانية في شعر سعاد الصباح.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣- كانت الشاعرة مدركة لدور العدول في شعرية النص .

٤- ثمة فرق في استعمال تقنية العدول في دواوينها المتأخرة عما كان في بواكير شعرها .

منهج الدراسة:

يعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج الأسلوبي ، لاستجلاء ظاهرة العدول عند سعاد الصباح، وذلك بدراسة الألفاظ في سياقها، متناولا الانزياح الدلالي والصرفي من خلال حقول دلالية ، والنظر في ما جرى على التراكيب المستعملة من عوارض تركيبية.

ويستفيد الباحث فى بعض مباحث الدراسة من معطيات المنهجين الوصفى والتاريخى وبخاصة فيما يتعلق بدراسة حياة الشاعرة، وتتبع ظاهرة العدول فى التراث النقدى العربي قديمه وحديثه .

خطة الدراسة

تنتظم هذه الدراسة بعد الفصل المتعلق بمشكلة البحث وفرضياته ومنهجيته أربعة فصول أولها فصل تمهيدى من بحثين ، ثم ثلاثة فصول وخاتمة . يتناول الباحث فى الفصل التمهيدى التعريف بالشاعرة ، وبمكانتها الفكرية وعطائها الثقافى المميز وتجربتها فى مضمار الشعر العربي الحديث ، ثم يعرج على تتبع ظاهرة العدول فى التراث العربى القديم ، وينتقل من بعد إلى تناول موضوع من موضوعات العدول فى الفصول الثلاثة الباقية مع تطبيقات ذلك النوع أو الموضوع فى شعر سعاد الصباح، فيتناول فى الفصل الأول العدول التركيبى وفى الفصل الثانى العدول الصرفى، وفى الفصل الثالث العدول الدلالى، أى فى كل فصل من فصول الدراسة تناولت شكلا من أشكال العدول وتتبعت تطبيقاته فى شعر الشاعرة سعاد الصباح ، وفى الختام كانت الخاتمة والتوصيات، وذيلت البحث من ثم بقائمة المصادر والمراجع التى استندت إليها .

الدراسات السابقة:

استفاد الباحث فى جمع أطراف رؤيته وبنيان دراسته من ثلاثة أطياف من الدراسات المتعلقة ببحثه ، وهى :

أولا . الدراسات التى تناولت الظاهرة الأسلوبية بوجه عام والمتعلقة بالشعر العربى بوجه خاص وقد أفادت هذه الدراسات فى تكوين رؤية عامة حول الأسلوبية ومنهجيتها وآلياتها باعتبارها المضمار العام الذى تنداح فيه هذه الدراسة ، ومن أمثلة ما أفاد فى هذا الباب ما يلى :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، القاهرة ، دار البحوث العلمية، ١٩٨٠م.

-عبد القادر الفاسي ، اللسانيات واللغة العربية نماذج تركيبية ودلالية، بغداد ، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٢م.

- شكري عياد محمد،اللغة والإبداع مبادئ علم الأسلوب العربي، القاهرة انترناشونال ١٩٨٨.

-شكري عياد محمد، مدخل إلى علم الأسلوب ، الرياض دار العلوم نشر الرياض ١٩٨٨.

- صلاح فضل ، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته القاهرة دار الشروق ١٩٩٨م.

- عدنان حسين قاسم ، الاتجاه الأسلوبي في نقد الشعر العربي، ، مصر ، الدار العربية للنشر والتوزيع ،٢٠٠١م.

-كرهام هاف، الأسلوبية والأسلوب، ت كاظم سعد الدين،بغداد، دار آفاق ١٩٨٥.

تناولت الدراسات السابقة موضوعات عدة، وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة بأنها الأولى التي تناولت العدول في شعر سعاد الصباح وهو ما لم تبحثه دراسة سابقة مما يعد إضافة جديدة للمكتبة العربية.

ثانيا : الدراسات التى تناولت شعر الشاعرة سعاد الصباح موضوع هذه الدراسة ومحورها وأيا كان المنحى الذى تناول به الباحث شعر الشاعرة فإنه لن يخلو من فائدة فى استيعاب الرؤية الشعرية للشاعرة بوجه عام والوقوف على المواضع التى لم يعن بها الباحثون الآخرون لاضاءتها ما أمكن ومن أمثلة الدراسات فى هذا القسم :

- نبيل راغب ، دراسة فى شعر سعاد الصباح ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣

- خلف فاضل ، سعاد الصباح الشعر والشاعرة ، شركة النور، الكويت ١٩٩٢

- رابحة محمود البحر ، شعر سعاد الصباح : دراسة فى المضامين الشعرية ، رسالة ماجيستير بكلية الاداب جامعة الملك سعود، ١٤٢٨ هـ

- سعيد ظافر الفارسي ، سعاد الصباح بين الاستلاب والاغتراب ، كتب عربية ، ٢٠٠٥

- معراج أحمد معراج الندوى ، النزعة الوطنية فى شعر سعاد الصباح ، دراسة بمجلة اللغة عدد ابريل ٢٠١٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا : الدراسات الموازية التى تناولت ظاهرة العدول فى شعر أحد الاعلام القدامى أو المعاصرين مما ينعكس على التناول المنهجى للباحث لما بين يديه، ومن أمثلة هذا القسم من الدراسات :

١-الانزياح في الثراث النقدي والبلاغي، أحمد محمد ويس، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ٢٠٠٢م

٢-الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، أحمد محمد ويس، المؤسسة الجامعية للنشر بيروت ط١ ، ٢٠٠٥.

ومنها ما كان تحت مسمى العدول مثل :

- ظاهرة العدول في البلاغة العربية، مقاربة أسلوبية، الجزائر ٢٠٠٥، عبد الحفيظ مراح.
- صور العدول في شعر أبي تمام دراسة بلاغية، جامعة المنيا رسالة ماجستير٢٠١٢، دار العلوم.
- ظاهرة العدول في شعر المتنبي، مصطفى عبد الهادي عبدالله، جامعة٧ اكتوبر
- ظاهرة العدول في شعر عنترة، دراسة أسلوبية، عمار جابر جرادات، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠١٥م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل التمهيدى

المبحث الاول حياة الشاعر سعاد الصباح ومشروعها الثقافى وتجربتها الشعرية

سعاد الصباح علم من أعلام الكويت الثقافية المعاصرة، استطاعت أن تخط لإسمها مكانا مميزا فى سماء الثقافة العربية بحسها الأدبى المرهف ، وتجربتها الشعرية الثرية ، وجهادها الثقافى المميز، ومشاركتها الفاعلة فى صناعة الأحداث فى بلادها والعالم العربى فى فترة من أصعب اللحظات وأخصبها ، وتعددت مآثرها وإنجازاتها لا على الصعيد الثقافى والأدبى بل فى مضمار النضال السياسي إذ كرست حياتها لمناصرة حقوق المرأة العربية والإنسان العربى بوجه عام ، وكان لها حضورها فى تلك الفترة العصيبة إبان الغزو العراقى للكويت ، الأمر الذى يجعلها – بحق- ظاهرة ثقافية واجتماعية جديرة بالتقدير والدراسة الكاشفة معا .

ولدت سعاد الصباح عام ١٩٤٢ [١]وهي تنتمي للعائلة الحاكمة الكويتية، ومن هنا حملت لقب الشيخة الذى تحمله قريناتها من نساء العائلة ، غير أنها آثرت ألا تبقى ككثيرات من بنات الأسر الحاكمة ممن يولدن ، وملاعق ذهبية بأفواههن – كما يقال - أسيرة لانتمائها الرفيع بما يعنى من حياة مرفهة وشهرة وعيش رغيد ، واستفادت من توجيه والدها وحسن تربيته، كما أشارت فى أكثر من مصدر فتوجهت بنفس متطلعة للثقافة والمعرفة، وتعودت القراءة والاطلاع فى سن مبكرة ، وكان لذلك أثر كبير فى مسيرتها وعطائها اللاحق [٢].

تلقت تعليمها فى مراحل الطلب الأولى فى البصرة بالعراق – وتحديدا فى بلدة الجبير - حين اضطرت الأسرة للهجرة إليها بعد مقتل حاكم الكويت[٣]، وهنالك تفتح وعيها الثقافى مبكرا مستفيدة من بيئة ثقافية مساعدة، ثم عادت للكويت فأتمت دراستها الثانوية في ثانوية الخنساء في الكويت .

---

[١] تحديدا فى ٢٢ مايو ١٩٤٢وكبيديا الموسوعة العالمية الحرة ، آخر تحديث ١١ يوليو ٢٠١٧ ـ تاريخ الزيارة ١٣ يوليو ٢٠١٧

[٢] من حوار مع الكاتبة أجرته روان الضامن ونشر فى موقع الجزيرة نت www.jazera.net

[٣]المرجع السابق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تزوجت مبكرا من الشيخ عبد الله مبارك الصباح الذى عمل نائبا لحاكم الكويت وقائدا للجيش فى فترة من أعقد فترات التاريخ الكويتى، وهى الفترة التى سبقت حصول الكويت على استقلالها من بريطانيا ، وكان للرجل توجه قومى واضح ونزعة استقلالية واعتزاز بعروبته جعل المستعمر البريطانى غير مستريح إليه كما يظهر من الوثائق التى نشرتها الشاعرة فى كتاب عن زوجها [١]مما اضطره للاستقالة حرصا على وحدة قبيلته واستقرارها كما أفادت دون توضيح لظروف ذلك وملابساته ، وانتقل للاقامة فترة في لبنان ثم فى القاهرة.

ويبدو أن الشيخ عبد الله المبارك كان ذا شخصية متفتحة لم يبخل على زوجته بالدعم والمساندة لرى ظمئها المعرفى واستكمال مشوارها الثقافى، فهو الذى شجعها لإصدار ديوانها الأول وهى لم تزل فى ريعان الشباب إذ لم تتجاوز عامها العشرين [٢]برغم أن الديوان لم يكن باعترافها عملا ناضجا نظرا لسنها المبكر وقلة خبرتها وتمرسها بالفن ، ولكنها خطوة مهمة للغاية لانضاج تجربة ثقافية ناشئة بما تشعشع فى نفس الكاتبة من مشاعر الاعتزاز بانتاجه والثقة بالنفس والحافزية نحو المزيد من العطاء والانتاج . وقد خلدت الشاعرة بوفاء جميل تلك اليد البيضاء التى أسداها لها زوجها بتفهمه ودعمه ومساندته بهذه الكلمات اللطيفة من أحد دواوينها الذى خصته به [٣]:

وحميت أحلامي بنخوة فارس

لم تلغ رأيا أو قمعت شعورا

قدر الكبير بأن يظل كبيرا

خطت الشيخة سعاد خطوات أخرى لاستكمال مشروعها الثقافى حين التحقت بجامعة القاهرة لتحصل على بكالوريوس فى الاقتصاد ثم واصلت مشوارها العلمى لتحصل على الماجستير والدكتوراه فى الاقتصاد والتنمية كذلك من جامعة بريطانية [٤].

---

[١] المرجع السابق ، الصفحة نفسها

[٢] المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

[٣] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[٤] ويكى بيديا الموسوعة العالمية الحرة مرجع سابق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعد أصداراتها المبكرة الثلاثة فى عامى ١٩٦١ و١٩٦٤ وهى " ومضات باكرة "و " لحظات من عمرى " و " من عمرى " بدا وكأنها دخلت مرحلة ابتعاد طويلة نوعا ما ولعلها انشغلت بالأحداث الجسام التى عايشها زوجها وأمّا وقد أصدرت بعده ديوانها التالى وهو ديوان " أمنية " عام ١٩٧١ الذي جمعت فيه قصائد تنبىء عن مولد عبقرية شعرية فريدة ، وتفصح عن صوت أصيل متميز ، وهى تراه أقرب دواوينها إلى نفسها إذ برزت فيها صوتها رومانسيا حالما، وعلى صعيد التقنيات الفنية كان شعرها فى هذا الديوان نقلة واعدة فلقد كان الشعر الجديد – كما لاحظ الناقد محمد عنانى - في الوطن العربي يمر بمرحلة حاسمة، إذ كانت حركة هذا الشعر قد اقتصرت عند البحور الصافية أي التي تعتمد على تفعيلة واحدة متكررة وشاع الرجز وهو البحر الذي يقترب كثيرا من النثر لكثرة زحافاته وعلله، وازدهر الخبب الذي يعدُّ الصورة الحديثة للمتدارك[١]

توالت بعد ذلك دواوين الشاعرة التي أثبتت قدرتها في التعبير وفي البناء المحكم، ففي غمرة حزنها على فقدان ابنها البكر مبارك أصدرت ديوان (إليك يا ولدي ١٩٨٢) تتغنى فيه بمشاعر أمومة نبيلة، وتنشد المثل الأعلى ثم كان ديوانها الفذ الذى يمثل نقلة كبيرة فى مسيرتها الشعرية، بل ثورة حقيقية فى ميدان الإبداع الشعرى بمقياس ذلك الوقت كما يرى الناقد محمد عنانى فصدر ديوان (فتافيت امرأة) عام ١٩٨٦م وهو يضم قصائد منثورة إلى جانب القصائد المنظومة، فكأنها تعلن التمرد على قوانين النظم التي وضعها الرجل، وهو التمرد الذي بلغ أوجه في ديوانها (القصيدة أنثى والأنثى قصيدة) عام ١٩٩٩[٢]

انتظم العطاء الشعرى للشاعرة سعاد الصباح فى ثماني عشرة مجموعة شعرية استهلتها كما أشرنا بومضات باكرة وكان آخر انتاجها الشعرى (الشعر والنثر لك وحدك) فى (٢٠١٦) وهذه الإبداعات الأدبية تمثل أهم الثمرات وأبرزها فى مشروعها الفكرى حيث تتجاور مع إنتاج علمى أو فكرى يتمثل فى حوالى عشرة كتب أخرى توزعت ما بين الدراسات الاقتصادية والتنموية وهو مجال تخصصها اوما بين الدراسات الأدبية والتاريخية [٣].

---

[١] عبد الله النديم ، مقال بعنوان سعاد الصباح رحلة بحث دائب عن المعنى بجريدة اليوم ، العدد ١١١٧٦ بتاريخ ٢٠٠٤/١/٢٠

[٢] المرجع السابق، صفحة ١٦.

[٣] وكى بيديا فى موضوع سعاد الصباح

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكمناضلة تحمل الهم القومى بين جنباتها لم تقتصر إسهاماتها لاثراء الساحة الثقافية على ما أصدرت من مجموعات شعرية ودراسات فكرية ولكنها أسست دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع عام ١٩٨٤ لتسهم فى إثراء الحركة الثقافية فى العالم العربى ومدها بكل جديد من ثمرات الفكر والادب، وقد أصدرت الدار مئات الدراسات والأعمال الأدبية لمفكرين ومبدعين من مختلف المشارب والأعمار ولم تقتصر على المشاهير الكبار، بل كان من بين من نشرت أعمالهم شباب مبدع واعد كان لها فضل الكشف عن مواهبهم وإبرازها ، فلقد أنشات باسمها جائزة سعاد الصباح لدعم المبدعين الشبان فى مجالات الشعر والكتابة المسرحية والرواية وجائزة أخرى باسم زوجها الراحل عبد الله مبارك الصباح لدعم ذوى الكفاءات والمبادرات والقدرات العلمية المتميزة من العلماء العرب الشبان بل خصت فلسطين قضية الأمة المركزية بجائزة استهدفت بها دعم الحركة الفكرية والثقافية بين الشباب الفلسطينى الحر .

وفضلا عما سبق فقد شاركت بفعالية فى العديد من الروابط الفكرية والأندية الثقافية والمؤسسات المتعلقة بمجالات اهتمامها على امتداد الوطن العربى كما أسهمت فى إنشاء بعض أهم تلك المنتديات كالجمعية الوطنية لحقوق الانسان العربى وهو من أهم وأكبر مآثرها التى لا تخلو من دلالة . وقد كانت – بالإضافة إلى ذلك – ذات حضور بارز فى منتديات دولية تعنى بالواقع العربى ومتغيراته فكانت عضوا فى أكثر من عشرين رابطة وناديا وجمعية ومؤسسة فكرية داخل العالم العربى وحول العالم [١].

وقد حظى جهادها الثقافى الكبير بالكثير من التقدير فى داخل بلدها وخارجها فحصلت على جوائز التكريم السنية كجائزة الدولة التقديرية بالكويت ووسام الثقافة التونسية ووسام الاستحقاق اللبنانى وغير ذلك٢ . كتب عن العطاء الادبى للشاعرة سعاد الصباح الكثير من الدراسات والأبحاث سواء فى أروقة الجامعات أو من قبل النقاد المرموقين فى العالم العربى فضلا عن عشرات المقالات والمقابلات فى المجلات والدوريات الثقافية المعروفة ، كما ترجم من أعمالها الكثير لعشر لغات حية من لغات العالم ٣.

[١] المرجع السابق، ص٤ .
[٢] المرجع السابق ، ص٥.
[٣] المرجع السابق ، ص٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثانى العدول وعلاقته بالموروث العربي

١. العدول لغة واصطلاحا:

جاء في كتاب العين:((عِدْل الشيء: نظيره ... والعَدْل أن تَعْدِل الشيء عن وجهه فتميله ... وعَدَلْتُ الشيء أقمته حتى اعتدل ... وعدلت الدابة إلى كذا: أي: عطفتها فانعدلت.

والعَدْل: الطريق ... والانعدال: الانعراج))[١].

وفي المحكم:((عَدَلَ عن الشيء يَعْدِل عَدْلاً وعُدولاً: حادَ ... وعَدَلَ إليه عدولاً: رجع ... وعَدَلَ الطريقُ: مال ... وانعدل وعادل: اعوج))[٢].

وفي معجم مقاييس اللغة:((عدل: العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادين: أحدهما يدل على استواء، والآخر يدل على اعوجاج))[٣].

وذكر في اللسان:((عَدَل الطريق: مال ... وفي الحديث: لا تُعْدَل سارحتكم أي لا تصرف ماشيتكم وتُمال عن المرعى))[٤].

وذكر الفيروزآبادي أن مادة ((ع،د،ل))وما يمكن أن يشتق منها محصورة بين الدلالة الأولى المتمثلة في الإنصاف ، وإحقاق الحقوق حيث إن ((العدل : كالعادلة والمعدلةِوالمعدَلة . عدل فهو عادل من عدول وعدل بلفظ واحد ...))[٥].

١-الفراهيدي، الخليل بن أحمد: العين: تحقيق الدكتور مهدي المخزومي وآخر، مطابع كويتا تايمز، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢م.مادة (عدل).

٢- ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم:ابن سيدة ، تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار، القاهرة ، ١٩٥٨م. مادة (عدل).

٣- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة،اعتنى به محمد عوض مرعب وأخرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م.ص ٨١٧.

٤- ابن منظور: لسان العرب:دار إحياء التراث العربي، بيروت ،١٩٨٥هـ مادة (عدل).

٥- مجد الدين الفيروز آبادي : القاموس المحيط ،مكتبة النوري ، دمشق ، مادة (عدل) ، ص١٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والدلالة الثانية المتمثلة في ((عدل عن الشيء يعدل عدلا وعدولا حاد عن الطريق جارو عدل إليه عدولا رجع ، وماله معدل ولا معدول أي مصرف ، وعدل الطريق مال))[1]

ومما تقدم يظهر أن العدول في اللغة يدل - فيما يدل عليه - على حياد الشيء عن وجهته وإمالته عنها.

وإذا نظرنا إلى التعريف اللغوي نلحظ اللحمة الوثيقة بين المصطلح وبين الدلالة الفنية انطلاقًا من مفهوم ــ عدل عن الطريق ــ أى مال عنه ــ ومنه يفهم العدول في اللغة بأنه إجراء يلحق الصياغة لأغراض فنية عامة لم ترتبط بداية بتحسس عناصر الجمال ، وفي ملاحظة طبيعة الصياغة الواردة في بعض الآيات الكريمة مايؤيد ذلك كقوله تعالى : ((أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع))[2]. كأنك تقول أولى أجنحة اثنين اثنين ، وثلاثة ثلاثة ، وهو ضرب من ضروب العدول أو الانزياح لاحظه القدماء وأشاروا إليه.

ويزخر التراث البلاغيّ بإشارات إلى ظاهرة الانزياح وأهميتها في عملية الإبداع الفنِّي، فهذا الانزياح يتبدى عندهم في مظاهر شتى، تبدأ من أدنى تغيّر صوتي وتنتهي بتغيّر النَّوع الأدبيّ للخطاب برمته.

و هذا دليل على أن البلاغيّين عرفوا ظاهرة الانزياح، وتناولوها من خلال مباحث كثيرة، ومصطلحات متعددة، وكانت لهم إشارات واضحة تدل على وعيهم بالانزياح بوصفه ظاهرة فنية، وضرورة أدبية، ويعد الحذف والزيادة نوعين هامين من أنواع الانزياح التَّركيبي، وهما ذوا صلة وثيقة بظاهرتي الإيجاز والإطناب اللتين تمثلان نوعا من العدول عن أصل مثالي مفترض تمثله المساواة.

أما الانزياح الدَّلالي فتمثله صور البيان عامَّة؛ فالتَّشبيه يتأكد بعده الفنِّي من خلال أنواع العدول والانزياحات التي تعتريه، سواء كان ذلك بحذف بعض عناصره، أم بالإغراب في تشبيه

١- لسان العرب ، ج ٢،ص٧٠٦.
٢-سورة فاطر ، آيه ١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المتباعدات، أم في قلب طرفي الصّورة التَّشبيهية، كما تعد الاستعارة أهم أنواع الانزياح الدَّلالي، من حيث هي نقل للفظ عن مسمَّاه الأصلي إلى اسم آخر، وتشبيهٌ حذف أحد طرفيه، وخرج بذلك عن التقرير والمباشرة، فكانت أعلى مراتب التَّشبيه هي أولى مراتب الاستعارة، ولذلك فضلت الاستعارة قديما وحديثا على التَّشبيه، من حيث قيمتها الفنِّية التي تحققها بذلك التفاعل الحي في الدَّلالة، وذلك الثراء الذي تتميز به، ويعزى إلى أنَّها تمثل أقصى درجات الانزياح الدَّلالي، أما الكناية فهي أحد أشكال الانزياح الدَّلالي وتتلخص في أنَّها عدول عن إفادة المعنى مباشرة إلى إفادته عن طريق لازم من لوازمه.

وقد عرف العدول في اللغة العربية منذ عصر الاحتجاج اللغوي ، فقد تطرق إليه العلماء في العصر الجاهلي لفهم المقاصد الشعرية خاصة ؛إذ يصح للشاعر ما لا يصح للناشر ، وعرف في العصر الإسلامي لوقوعه في لغة القرآن الكريم ، والملاحظ لاستخدام القدماء هذا المصطلح أنه موجود في معظم الكتب ، النحوية ،أو الفقهية أو كتب الأصول بتسميات مختلفة منها : العدول والانزياح والانحراف والخرق والخروج عن سنن اللغة ، والمجاز ،والألتفات وغيرها، ولكن هل هناك فروق بين المصطلحات أم أنها تدل على مفهوم واحد ؟.

من الذين استخدموا مصطلح العدول من القدماء الباقلاني إذ يقول عنه ((أما المبالغة فهي الدلالة على كثرة المعنى وذلك على وجوه : منها مبالغة في الصفة المبينة لذلك كقولك رحمن عدل من راحم عادل، للمبالغة ...))[1].

وكذلك نجد عبد القاهر الجرجاني قد وظّف مصطلح العدول أيضًا فيقول ((واعلم أن الكلام الفصيح ينقسم إلى قسمين قسم تعزي المزية والحسن فيه إلى اللفظ ، وقسم يعزي ذلك فيه إلي النظم ، فالقسم الأول للكناية والتمثيل الكائن على حد الاستعارة ، وكل ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع ،وعدول باللفظ

[1] - أبو بكر الباقلاني : إعجاز القرآن ، تحقيق ، أبو بكر عبد الرزاق، مكتبة مصر ، مصر ، ١٩٩٤م ، ص١٩٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الظاهر ، فما ضرب من هذه الضروب إلا وهو إذ وقع على الصواب وعلى ما ينبغي أوجب الفضل والمزية ...))[1].

ومن ذلك يتضح أن مصطلح العدول قد استخدم في التراث ، وبعبارات مختلفة ، فليس هو بمصطلح نحوي صرف ولا بلاغي صرف ، مثله مثل (القياس) في أصول الفقه ، ورغم ما يحمله مفهوم نقض العادة والخروج عن السنن والأعراف سواء تمثل ذلك في المستوى الصوتي أو في المستوى الأفرادي أو في المستوى الدلالي للمفهوم نفسه إلا أن هذه المفاهيم تدور كلها في المستوى التركيبي أوفي المستوى الدلالي .

وقد أخذ(العدول) مساحة كبيرة عند المحدثين ، ولكن الإشكالية كما هو معلوم في ضبط المصطلحات رغم المجهودات الكبيرة المبذولة لتوحيده ؛ فعدم استقرار مفهوم العدول على تسمية واحدة يؤكد ظاهرة الانقلاب والتشتت التي يعانيها المصطلح بشكل عام ،لا سيما قد شاع واتسع عند القدماء ولهذا ((تتخذ صورة فوضى المصطلح النقدي العربي وقلقه أشكالاً متعددة ، ومن أمثلتها تعدد المصطلح في كتابات النقد المختلفة ويتجلى هذا الأمر عند كمال ديب الذي سماه مرة الانحراف وأخرى الانزياح ، وتتخذ صورة عدم الطمأنينة في استخدام المصطلح شكًلا آخر إذ يعمد الناقد إلى التدليل على الظاهرة نفسها بأكثر من كلمة ، فقد يستخدم بعضهم كلمتين متلازمتين وذلك مثل (الانزياح للعدول) أو (العدول والانزياح) أو (الانحراف والازورار) أو (الشذوذ والانحراف) أو (الخروج والانحراف) أو (تنحرف وتنزاح)))[2]

وفي مسعى للوقوف على استخدامات مصطلح (العدول) الفنية ، نجد الدكتور عبدالسلام المسدي عندما تحدث عن الإنزياح رأى أنه عسير الترجمة ؛لأنه غير مستقر في تصوره ، ولذلك لم يرض به كثير من رواد اللسانيات والأسلوبية ، فوضعوا مصطلحات بديلة .وذكر أن (الانزياح) ترجمة حرفية للفظة ((LECART))على

[1] -عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مكتبة اليازجي ، القاهرة ، ١٩٨٤م، ص٤٣٠،٤٢٩.
[2] -موسى سامح ربابعة : الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها ، دار الكندي ، الاردن ، ٢٠٠٣م ، ص٤٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن المفهوم ذاته يمكن أن نصطلح عليه بعبارة التجاوز ، أو نحيي له لفظة عربية استعملها البلاغيون في سياق محدد وهي عبارة (العدول)وعن طريق التوليد المعنوي قد نصطلح لها على مفهوم العبارة الأجنبية))[1].

وانطلاقًا من هذه الترجمة ، جاء مسعى إحياء مصطلح عربي صميم هو العدول ليعطي مساحة غير قليلة من المادة المشكلة للجمالية الشعرية ، الأمر الذي تم بوعي عميق بإنشاء الأساليب العربية ،وقدرها على العطاء الجمالي ،ولم يأت كرد فعل قائم على التعسف في طرح البدائل التراثية ، ولعل ملاحظة الدكتور أحمد ويس من اعتماد تجربة التعاطي مع هذا المصطلح عند المسدي ما يفيد ذلك ، إذ يقرر أن الدكتور المسدي ((هو أول من لفت الانتباه إلى إمكان إحياء هذا المصطلح للمفهوم الأجنبي ، وكان ذلك في كتابه الأسلوبية والأسلوب ، غير أنه مع ذلك لم يستعمله في كتابه آنذاك واستعمل مصطلحًا آخر هو الانزياح) ؛ ولكنه لم يثبت على هذا الأخير طويلاً فرغب عنه إلى (العدول)، ولما سألته في ذلك أجاب عندما استعمل مصطلح(الأنزياح)ترجمة لمفهوم ــ LECART ــ أول مرة كان بقصد إبراز سمة الجدة من حيث هو متصور إجرائي طارىء على التأليف في اللغة العربية ، ثم جاء مصطلح (العدول) إحياء لمصطلح بلاغي تراثي لم يعد يجر محاير الالتباس))[2].

ثم استعمل هذا المصطلح بصورة كبيرة ، حيث ((استعمل (العدول) غير المسدي كثير من الدارسين منهم تمام حسان ، وحماد صمود ،وهو يرى في مصطلح العدول أحسن ترجمة لمفهوم ــ LECARTــــ ومصطفى السعدني ، وعبدالله صولة ، والطيب البكوش ، والأزهر الزناد .....))[3]

وقد وجد من المصطلحات الحديثة التي تعمل على تغطية الحدث الأسلوبي باعتباره خصوصية إجرائية لظاهرة العدول ، مصطلحات أخرى ،يمكن أن تضاف لهذا الحقل ، نذكر منها على سبيل المثال ما أضافه الدكتور صلاح فضل ((الذي أضاف كلمة(الكسر) ونسبها إلى تيري ، وكلمة (فضيحة) ونسبها إلى بارت ، ونسب إلى (تودوروف) كلمة (شذوذ) ، وأما (آراجون) فنسب كلمة (الجنون)، كما أضاف عدنان ريل عدة مصطلحات أيضًا نذكر منها : (الجسارة اللغوية)و(الغرابة) و(الابتكار) و(الخلق) . وورد عن (جان كوهن)

---

[1]- عبدالسلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط٢، ١٩٨٢م، ص١٠٦م.
[2]-أحمد محمد ويس: الانزياح وتعداد المصطلح ، مجلة عالم الفكر العدد الثالث ، الكويت ، يناير /مارس ، ١٩٩٧م،ص٦٣.
[3]- المصدر السابق ،ص٦٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

، فضًلا عما اعتمده من الانزياح والانحراف والخرق ،لفظ آخر مرادف للانزياح هو (الخطأ)، إذ يقول : إن الأسلوب خطأ ؛ولكنه ليس كل خطأ أسلوبا))[1].

إن كثافة الأسئلة المطروحة حول مفهوم العدول (الانزياح) لا تؤكد أهمية البحث في مدلول الانزياح أوالعدول باعتبارها الخاصية الأساسية المنتجة للشعرية فحسب ؛بل دلت أيضًا على قلق في تصور الآليات التي تقف وراء إنتاج هذه المادة ؛وذلك يرجع إلى اختلاف المدارس والمنطلقات ، الأمر الذي حتم تجاوز هذه المصطلحات إلى أربعين مصطلحًا .

ومن المؤكد أن هذه المصطلحات لم تصادف الرواج نفسه عند الدارسين المحدثين ولا سيما عند العرب منهم لاسباب لعل من بينها عدم جدارة بعضها بالدلالة على المفهوم من ناحية ،ولإساءة الكثير منها للغة النقد الأدبي من ناحية أخرى ، ويضيف الدكتور صلاح فضل سببًا أخر فيقول: ((أنها تقريبًا كلمات ذات إيحاءات أخلاقية موسومة ، مما يبرر بعض ردود الفعل الرافضة لها ،على اعتبار ما يمكن أن تفضي إليه في نهاية الأمر من العودة إلى النظرية التي كانت شائعة في القرن الماضي ، والتي يعد الفن بمقتضاها ظاهرة مرضية ،والشاعر إنسان عصامي ...))[2].

وليس من المبالغة أن نقرر ضرورة ارتباط المصطلح بالبيئة الثقافية التي نشأ فيها وأفرزته ؛لأنه في المحصلة النهائية استقطار رشحت منه مادة كثيفة ، تختزل تجارب عديدة لظاهرة النشاط الإنساني لتلك البيئة ، لهذا الأعتبار ولغيرة من المبررات التي تدفع إلى ضرورة السعي إلى الكشف عن مصطلح عربي صميم من غير شك يظل وفيًا للثقافة وأقدر تعبيراً عنها كماهو الحال في مصطلح العدول .

ولذلك عند النظر للبلاغة العربية من الناحية الفنية ، وهي تعمل من أجل التمكين للقيم الأدبية ، نجد أنها تنتهي نظريًا إلى إقامة منظومة شعرية تعدو وضع المصطلحات إلى تعسف في التعبير عن تلك القيم ، ومن هنا نستطيع أن نبحث عن أصل مصطلح (العدول)وهو يؤشر على منسوب الجمالية في صناعة التأثير عند المتلقي ، بما تتيحه إجراءاته من قدرة على التشكيل الأسلوبي ، ومصطلح (العدول) نفسه، وبنفس المتطلبات نجده في الخصائص لأبي الفتح بن جني ((وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي الاتساع ، والتوكيد ، والتشبيه فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة))[3]

---

[1]- نفسه ،ص٦٥.

[2]-صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، الكويت ، ١٩٩٢م، ص٦٤.

[3]-أبو الفتح عثمان بن جني : الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، دار الكتب المصرية ،ط٢، ١٩٥٧م، ج٢،ص٤٤٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد ساهم الفلاسفة في إثراء الحديث عن العدول ، ومسوغاته وعلاقتة بالموروث العربي ، ومن ذلك نجد الدكتور المسدي يعرض رؤية ابن سينا عندما عالج مسألة الطاقة الإبلاغية في اللغة من حيث الفارق بين النمطي والطارىء فيصل إلى ((اعتبار أن الألفاظ متى استعملت على وضعها الأول كانت دلالتها (مناسبة) و(معتادة) وهو ما يتوصل إليه بعد التحليل في قوله :(الدلالة الناصة) مقابلا بينها وبين الدلالة (المخترعة)التي هي (المستعارة) و(المجازية) .))[1].

ثم يرصد الدكتور المسدي العديد من المصطلحات التي تشتبك مع (العدول) في البلاغة العربية ، وإن كانت المعالجة لغوية ((ويزيد ابن سيناء الموضوع تدقيقًا عندما يهتدي إلى جملة من المتصورات العلمية في وصف ظاهرة التحول الدلالي فيقف على خصائص الطاقة التعبيرية بالكلام متطرقًا إليها من نافذتي (التصريح والتعجب)))[2].

وبهذا يصبح العدول مصطلحا عربيا قديما ، تطرق له القدماء في الدرس اللغوي ، والبلاغي ، والأصولي والفقهي ، ولكن تحت مسميات أخري ، فبعضهم يسميه (الانحراف) و(التحويل) و (الخروج) و(المجاز) و(التغيير) .... ،والمحدثون عرضوا له من خلال (الانزياح) وأفاضوا في دراستة ، وتوضيح الخلاف بينه وبين المصطلحات المجاورة له أو القريبة منه ، وذكر الفروق بينه وبين المصطلحات الأخري مثل (اللحن ، الانزياح ، الانحراف) وغيرها.

---

[1]-عبدالسلام المسدي : قضايا العلم اللغوي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٩٤م ، ص١١٧.
[2]-عبدالسلام المسدي : قضايا العلم اللغوي،ص١١٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الاول

العدول التركيبي فى شعر سعاد الصباح

المبحث الأول : مفهوم العدول التركيبى

قد تناولنا من قبل لفظ العدول فى تناولنا للمفهوم من منظور الدراسات اللغوية القديمة، وبقى أن نتعرف على المقصود بالتركيب ليتأتى لنا أن نستصحب فى دراستنا هذه تعريفا نرتضيه لمصطلح العدول التركيبى، والتركيب فى اللغة ينصرف إلى ما يتعلق ببناء الجملة وأنساقها فتركيب الجملة العربية، كما نعلم، ينقسم إلى الجملة الفعلية والجملة الاسمية، ولكل منهما نسقه الخاص فى ترتيب الكلمات فى سياق الجملة وبنيانها، وهذا الترتيب المنتظم لأجزاء الجملة التى بها يفهم المعنى ويتم مقصود الخطاب من توصيل المعنى المتضمن فى الجملة من المخاطب (بكسر الطاء) إلى المخاطب (بفتحها)، وقد يحدث على هذا التركيب النموذجى تصرفات من قبل المتحدث لأغراض يتوخاها أو ضرورات يقتضيها الخطاب وهى موضوع الدراسات البلاغية لا سيما علم المعانى الذى يعنى بهذه التغيرات التى تلحق التركيب وفق الأغراض الخاصة المكتنفة للموقف الخطابى، وهى ما عرف بالأغراض البلاغية فى درسنا البلاغى . من هذا العرض فإن العدول التركيبى هو ذلك الضرب من العدول الذى يلحق بنية الجملة لأغراض يقتضيها المقام ويلحظها منتج الجملة حال صياغته لها .

وللعدول التركيبى على هذا النحو صور متنوعة منها العدول بنقص الرتبة وهى تتناول فى الغالب ظاهرة التقديم والتأخير فى الجملة ، والعدول بالحذف أو بالإضافة، أو غير ذلك وهوما نتاوله فى المبحث التالى.

المبحث الثانى : صور العدول التركيبى وتطبيقاتها فى شعر سعاد الصباح

<u>أولا: العدول بنقص الرتبة</u>

يقصد بنقص الرتبة فى بناء الجملة أن يتغير وضع الكلمة فى السياق عن الرتبة المستحقة لها فى أصل الوضع اللغوى المنتظم وهو ما يعرف بمصطلح آخر بظاهرة التقديم أو التأخير .

والتقديم فى الجملة اللغوية هو فى حقيقته تبادل في المواقع ، حيث تترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحل محلها كلمة أخرى لتؤدي غرضاًبلاغيًا ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها الذي حكمت به

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قاعدة الانضباط اللغوي ، و بطبيعة الحال يستلزم التقديم تأخيرا بالضرورة فالمبتدأ الذي يترك مكان المقدمة للخبر يحدث بينهما التقديم والتأخير، لأننا حين نقدم مالا حق له في التقديم " نكون قد أحدثنا تفسيرا في المواقع والصلاحيات ،وفي الأضواء وفي الأثر النفسي لأن المقدم يحتل مركزا ممتازا فهو أول ما تقع عليه العين وأول ما تتأثر به وأول ماتعجب به ، وأول ما تقع النفس تحت أضوائه فتنشغل به ؛لأنه يستحق هذا ؛ولأنه في غير مكانه الذي تعودنا أن نراه ثم تأتي الألفاظ الأخرى فتكون الشحنة التي استحوذ عليها اللفظ المقدم " [١].

ويعدُّ أسلوب التقديم والتأخير أحد الأساليب المهمة في الأداء اللغوي الفني ، وإذا كانت أساليب اللغة الأخرى لها واجهة نفسية ومدلولات وجدانية فإن لهذا الأسلوب مدلولاً نفسياً متميزاً ، وهو مرتبط بنفسية المبدع أو منشئ النص ، وقد أشار إلى ذلك القدماء قبل دارسي الأسلوبية المحدثين ، فمن جُملة تعليلاتهم لهذه السمة الأسلوبية قول عبد القاهر الجرجاني : " واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام ... كأنهم يقدمون الذي بيانه أهمُّ لهم ، وهم بشأنه أعنى "[٢]

والعناية والاهتمام مطلبان نفسيان مجملان ، و وراؤهما مقاصد نفسية شتى[٣] ، و " أن الأغراض والمقاصد هي المعاني الجائلة في النفوس ، وهذا ظاهر " [٤] وبحسب هذه الأغراض وتلك المقاصد يضع المتكلم قوله ، ويصوغ منطقه .

ويتخذ موضوع التقديم والتأخير مكانًا مهما في الدرس البلاغي يرجع في أصله إلى أهمية ما يقوم به الكلام الأدبي ، وهو انزياح في التراكيب ؛لأنه لا يظهر إلا من خلال التراكيب بل لعله أظهر مايقوم به المبدع من تراكيب [٥].

١- بلاغة الكلمة والجملة والجمل : منير سلطان ، منشأة المعارف ، الأسكندرية ، ١٩٨٨م، ص١٣٨.

٢ - دلائل الإعجاز / ١٣٦.

٣- وقد وضح الشيخ عبد القاهر الجرجاني هذه المقاصد على وفق طريقته الخاصة التي تتناسب مع عصره آنذاك . ينظر : دلائل الإعجاز / ١٣٦-١٦٢.

٤- مراجعات في أصول الدرس البلاغي ، د. محمد أبو موسى / ٧١.

٥-الانزياح في التراث البلاغي : أحمد محمد ويس ، ١٦٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهو كما يقول الجرجاني كثير الفوائد جم المحاسن ،واسع التصرف بعيد الغاية ،ولا يزال يفتقر لك عن بديعه ،ويفضي بك إلى لطيفه ولاتزال شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب ما راقك ولطف عندك أن قدم فيه وحول اللفظ عن مكان إلى مكان [١]

ومن المهم الإشارة إلى أنَّ تحديد ماهية أسلوب التقديم والتأخير في البلاغة العربية وأساليب الأدب العربي لم تنحصر في ظواهر العدول عن الأصل كتقديم الخبر على المبتدأ في الجملة الاسمية ، وتقديم متعلقات الفعل العامل من مفعولات وكونها على الفعل العامل ، بل إنَّ الدراسات البلاغية القديمة تناولت في هذا الإطار كل متقدم في الكلام، سواء أجاء على أصله كتقدم المبتدأ على الخبر أو خرج عن هذا الأصل ، واستنبط البلاغيون مجموعة من القواعد البلاغية التي عللت هذه الظواهر الأسلوبية[٢]، ومن المقرر لدى دارسي الأسلوب أنَّ رصد العنصر الأسلوبي لا يقتصر على ما يوصف بالعدول عن الأصل من مكونات النص ، بل يشمل عناصر اللغة التي تُمثِّل ظاهرة لغوية في النص المدروس[٣]، إذْ إنَّ هذا المنهج ينسجم مع تحديد ماهية الأسلوب الذي يتألف من عناصر بناء النص جميعها سواء التي جاءت على أصل القاعدة اللغوية أو خرجت عن الأصل اللغوي المُطَّرِدِ وبشرط أنْ تصل الى كونها تشكل ظاهرة .وسنقف في هذا المجال على نماذج من ظاهرة التقديم والتأخير على وفق كون هذه الظاهرة ملمحاً أسلوبياً استثمرته الشاعرة لتجسيد ذاتها المتمثلة بـ " الأنا " ، ويدخل في هذا الجانب تقديم الألفاظ المجسدة لذات الشاعر المباشرة كالضمائر وغيرها.

نقرأ في قصيدة (التخرج) من ديوان " خذني إلى الشمس" [٤]:

أيُّها السيّدُ المخبوءُ في ساعة معصمي ...
أيُّها المتحالفُ مع الوقتِ ضدّي ...
و المتحَالفُ مع أساوِري ضدّي ...
و معَ أهدابي .. و أثوابي ..
و طلاءِ أظافري ضدّي ...
أيُّها المتآمر مع كتبي ... و أوراقي ...

---

١ - دلائل الإعجاز : عبدالقاهر الجرجاني ، ص٩٨.
٢-الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني : ٥٢/١-٥٥ .
٣- ينظر : علم الأسلوب – مبادئه وإجراءاته ، د. صلاح فضل / ١٧٩ ، ١٨٠ وما بعدها .
٤ديوان خذني الى الشمس سعاد الصباح ، ص ٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و رائحة القهوة ضدّي . . .

ليتَكَ تأخُذُ إجازتك

ونقرأ فى الديوان نفسه من قصيدة (رائحةُ صوتك) .[1]

تدورُ المقاهي حولَ نفسها . .

تدور كلماتُكَ حولَ أُنوثتي . .

تدور الذكرياتُ حولَ عنقي . . .

أهربُ من رائحةِ صوتِك . . .

إلى غرفتي .

ونلاحظ هنا تكرار حرف ياء المتكلم الذى يشير الى الشاعرة نفسها ففى قصيدة يتكرر حرف ياء المتكلم ثمانى مرات وفى السطور من قصيدة رائحة صوتك نراه يتكرر ثلاث مرات وفى كلمات هى أقرب والصق بذاتها (أنوثتى) و (عنقى) (غرفتى)

وهكذا يسهم النص فى تجسيد (الأنا) بوضوح من خلال هذه التقنية البسيطة المستخدمة بعناية ، فالبناء هنا وإن كان طبيعيا أى فى سياقه المعتاد دون تقديم أو تأخير لكنه حقق أغراضه المرجوة من خلال هذه التقنية المباشرة اليسيرة ، وهو غاية ما يرتجى من شاعر.

أما توظيف التقديم لتحقيق أغراض فنية محددة فهو ما يمكن أن نراه فى غير موضع مثل ما نرى فى هذه السطور التالية من قصيدة التخرج أيضا :

فالوَقتُ معَك لا يُحْتمل

و الوقتُ بِدونك لا يُحتمَل

و الزّمن لا يأخذ شكله النهائي ...

إلا عندما يمرّ من بين أصابعك ...

[1]-ديوان خذني إلى حدود الشمس : سعاد الصباح ، ص٢٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمبتدأ هنا يبدو وكأنه فعل الفاعل وكأنه تقدم عليه وهو تقديم يشير إلى امتلاك ناصية اللغة وبراعة في توظيف أدواتها فالأمر يتعلق بالزمن وأثره في بناء اللحظة الفارقة في حياة الشاعرة في علاقتها بفارس أحلامها فالزمن هو فاعل الفعل الحقيقي ولكنه تفدمه لانه بطل الموقف الحقيقي الذي يشير إلى الدور المحوري للرجل في حياة الشاعرة فهو ممتزج بالزمن بحيث لا يكون للوقت قيمة بدون تشكيله فالزمن أداة وهو أداة فاعلة بالوقت ذاته وهو ما افصحت عنها كلمات الشاعرة المنتقاة والمرصوفة رصفا متقنا.

وفي السطور نرى تقديم الظرف الملازم للوقت وإن بدا مكانيا (معك) (بدونك) (من بين) هو تقديم لا يخلو من دلالة في ضوء ما أسلفنا من علاقة فارس الأحلام بالزمن فاعلا فيه ومؤثرا ملتبسا به.

ويبدو أن تقديم الظرف كتقنية دالة مما يستهوى الشاعرة حيث نراه في قصيدة أخرى هى قصيدة (سميفونية الأرض) التي تتغنى فيه منبهرة بما يجرى في الأرض المحتلة من ملحمة خالدة يخطها أطفال الحجارة ، تقول في (سيمفونية الأرض)[1]

تلكَ سِمْفُونيّةُ الأرضِ العظيمَهْ

تَتَوالى . .

تَتَوالى . .

مثلَ ضَرْبَاتِ القَدَرْ

مرّةً في بيتِ لحمٍ

مَرّةً في غَزّةٍ

مَرّةً في الناصِرَهْ

قَلَبتْ طاولةَ الرُّوليت ، علينا . . .

سَحَبَتْنا فجأةً من قَدَميْنَا . . .

كنَّسّبْ في لحظةٍ أسماءَ كلِّ الزُّعَماء

أغلَقَتْ بالشَّمْعِ أوكارَ السياسَهْ

[1]-ديوان خذني إلى حدود الشمس ، سعاد الصباح ، ص٤٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و دكاكينَ الخَدَرْ

ذَبَحَتْ كلَّ البَقَرْ

فاستقيلُوا يا كبارَ الشُّعرأءْ

ليس للشِّعْرِ أميراً واحداً يُدْعى الحَجَرْ

فالظرف (مرة) الذى يتكرر ثلاث مرات و (فجأة) الذى يظهر وسط الجملة رباعية الكلمات ليوقظنا على حقيقة مؤلمة ثم (فى لحظة) الذى يومض كالبرقة الخاطفة ليرينا بشاعة ما يجرى مما سجلته الجملة كل هذه الكلمات كانت لها وظائفها الحقيقية فى بناء الجملة مما يجعلنا بالفعل نشهد للشاعرة ببراعة الصياغة الشعرية بلا ريب.

ومع مزيد من البحث عن الشاعرة فى وجه آخر من وجوه التقديم الذى يبدو أن لها ولعا خاصا به سنرى تقديم الخبر على المبتدأ (مرآتى أنت) (معك خرائط كل الامكنة) و(بيديك مفاتيح لغتى) فنقرأ فى قصيدة (حرائق على الثلج) هذا المعنى الجميل[١] :

يا الذي لا يشبِه رجلاً

و لا يشبِهُهُ رجلْ

مرآتي أنـْت . . .

فما أجمل وَجهي .

وهكذا تعددت لدى الشاعرة صور هذا الضرب من ضروب العدول التركيبى التى تشي من جهة باهتمام واضح لديها بهذا الضرب وإدراكها لأهميته الوظيفية فى بناء الجملة ، وتشى كذلك بقدرتها الواضحة على الانتفاع به وحسن توظيفه فى توصيل معانيها التى تسكن مشاعرها المرهفة .

ونقرأ فى القصيدة ذاتها [٢]:

إلى أيّة مدينةٍ من مدُن العالم .. سأذهبْ

و معكَ خرائطُ كلَّ الأمكنةْ

و في أيّ مقهى سأجلسْ

[١] المرجع السابق

[٢] المرجع السابق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و أنتَ احتكرت أشجارَ البُنّ

و رائحةَ القهوةْ ؟

و بأيّة لغةٍ سوف أتكلّم

و بيديّكَ مفاتيحُ لغتي ؟ ...

ثانيا: العدول بالحذف

الحذف في اللغة : الاسقاط ، ومنه سقط الشعر إذا أخذت منه ، ويقال حذف الشيء حذفًا أي قطعه من طرفه ، ويقال حذف الخطيب الكلام هذبه وصفاه " [١].

وفي الاصطلاح : إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل ، وأما قول النحويين : الحذف لغير دليل ، ويسمى اقتصارا ؛فلا تحرير فيه ،لأنه حذف فيه بالكلية" [٢].

وللحذف في" الجملة العربية أنماط تركيبية معينة ،ففي الجملة أركانها ومكملاتها ،وفي عناصرها ما يفتقر إلى غيره ، وما يستغني المعنى عن تقديره ، فإذا لم تشتمل الجمل على أحد أركانها ، أو ما يقتضيه المعنى أو تقتضيه التراكيب من مكملاتها وعناصرها الأخرى ،ثم اتضح المعنى بدون ذكر هذه العناصر لوجود الدليل على المحذوف عددنا ذلك حذفًا جيء به لطلب الخفة اختصارا أو اقتصارا أو تجنبًا للحشو أو لسبب أخر غير ذلك ، وكل عنصر من عناصر الجملة صالح لأن يحذف إذا قام الدليل عليه ، فأمكن تقديره في الكلام "[٣].

وقد يحسن الحذف أحيانا في الحرف أو الضمير أو الكلمة المفردة أو أحد أركان الجملة أو تكميلاتها ، كما يحذف من الكلام ما يقتضيه المعنى وإن طال الكلام المحذوف " [٤].

ويعد الحذف تحولاً في التركيب اللغوي ، ويثير القاريء ، ويحفزه نحو استحضار الصورة ، أو سد الفراغ ، كما أنه يثري النص جماليا ، ويبعده عن التلقي السلبي فهو أسلوب يعمد إلى الأخفاء والاستعباد بغية تعددية الدلالة وانفتاحية الخطاب على آفاق غير محدودة .

١-المعجم الوسيط : ١٩٢/١.

٢- البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، ١٠٢/٣.

٣- البيان في روائع القرآن : تمام حسان ، ص٣٧١،٣٧٠.

٤-خصائص التراكيب اللغوي في " بوابات النور " : خليفة بو جادي ، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص١٠٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد حاول القدماء تفهم هذا البعد ضمن إطاري الحضور والغياب ، وعمدوا إلى حصر أشكاله في تلقي النصوص القديمة على نحو لغوي " لاستخلاص ما فيها من ألوان الجمال أو لرصد ما فيها من ظواهر القبح ، وبمعنى آخر كانت هذه الخاصية من أهم مظاهر تقييم العمل الأدبي ، وتبدو مقدرة القدماء في إدراكهم أن بعض العناصر اللغوية يبرز دورها الأسلوبي بغيابها أكثر من حضورها " [١].

ويلتقي موضوع الحذف هذا وارتباطه بالسامع بمفهوم الافتراض المسبق ، الذي هو أحد مجالات اللسانيات التداولية الحديثة ، ويهتم بدراسة المعارف المشتركة بين المتكلم والسامع ، أو بين ما ينبغي أن يكون معروفًا أو يفترض العلم به سابقًا قبل إجراء الخطاب ، فهو : مفهوم برجماتي تتضمنه العبارة في المقام الذي ترد فيه من المعلومات المشتركة أي المعروفة مسبقًا ، لدى المتكلم أو المخاطبقادر على الحركة والإجابة ، وكأن المتكلم نفسه في منزلة الآمر [٢].

ويقول الإمام الزركشي في فائدة الحذف :" من التفخيم والإعظام لما فيه من الايهام لذهاب الذهن في كل مذهب ، وتشويقه إلى المراد فيرجع قاصرًا عن إدراكه ، فعند ذلك يعظم شأنه ،ويعلو في النفس مكانه ، ألا ترى أن المحذوف إذا ظهر اللفظ المحذوف زال ما كان يختلج في الوهم من المراد وخلص للمذكور " [٣].

ومن أهم من تنبه إلى الأبعاد الجمالية الكامنة وراء ظاهرة الحذف هو الإمام عبد القاهر الجرجاني ،بل إنه عدَّ الحذف من عوامل الإجادة والأبداع ، فيقول :" فتأمل الآن هذه الأبيات كلها واستقرارها واحدا واحدا وانظر إلى موقعها في نفسك وإلى ما تجده من اللطف والظرف ، وإذا أنت مررت بموضع الحذف منها ،ثم فليت النفس عما تجد ،وألطف النظر فيما تحس به ، ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر ،وأن تخرجه إلى لفظك ،وتوقعه في سمعك ، فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت ،وأن رب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد " [٤].

وبهذا يعد الحذف وسيلة من" أجل الرقي بالخطاب إلى مستوى تعبيري قادر على شد انتباه المتلقي والتأثير فيه ، أي الأقناع فضلا عن استغلال سمات جمالية تضفي على الخطاب سمات الجمال أي الإمتاع [٥] "

١- جدلية الأفراد والتركيب : محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر والطباعة ، ١٩٩٤،ص ١٨٢،١٨١.
٢- المرجع نفسه، ص١٨٣.
٣- الاتقان في علوم القرآن : الزركشي ، ١٠٢/٣.
٤-دلائل الإعجاز : عبدالقاهر الجرجاني ،ص ١٥١.
٥- لسانيات النص : محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩١، ص٩٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا ذهبنا نتتبع مدى ظهور ظاهرة العدول بالحذف لدى الشاعرة سيكون حسنا أن نبدأ بذلك التجلى الأخير للزاهرة الذى أشرنا إليه وقد عالجه الناقد تركى المغيض في دراسته التي حملت عنوان: (صوت الآخر في شعر سعاد الصباح) حيث يرى أن الشاعرة تتحدث عن الحبيب بما يدخل في باب "النمذجة" فيقول تحت عنوان: (الرجل الرمز) [1]

(.. وجاء وصفها لزوجها ليس باعتباره زوجا فقط، وإنما كونه يجسد آمال وتمنيات المرأة في الرجل. ولذلك فقد تجاوزت سعاد الصباح في تقديمها لصورة هذا النموذج الذاتية إلى خلق حالة موضوعية، وانتقلت من الحديث عنه كزوج إلى الحديث عنه كرمز.

والمتتبع لسيرة الشيخ عبدالله المبارك مع الشاعرة يدرك مكانته في حياتها فهو الذي أعطاها الحرية وفتح لها باب الحوار مع موهبتها الشعرية وهو من ركب لها أجنحة تحلق بها في عالم الأدب والشعر، وهو الذي هيأ لها فرصة البلوغ إلى أعلى المراتب العلمية والأكاديمية في حياتها، أضف إلى ذلك ما كان للشيخ من مزايا الرجل الحاكم الذي كان له دور كبير في دولته.

يتابع "المغيض": ومن أكثر القصائد تحديدا لملامح الرجل الزوج و الرمز وهو على قيد الحياة قصيدة "هل نسيتم"؟ صاغتها الشاعرة تحت تأثير ظرف محدد ولذلك نجدها تركز على الجوانب العامة الإنسانية في شخصيته:

كان في معشره صدرا حنونا

وسنى.. يبهر بالحب العيونا

وندى كالغيث في كف السماء

وإباء ألمعي الكبرياء

وله قلب الصغار الأبرياء

كله خير وطهر ووفاء

أنسيتم أنه صقر الخليج..

مُشرق الطلعة .. فواح الأريج

---

[1]- خصائص التركيب اللغوي في بوابات النور، مرجع سابق، ص١٠١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وواضح أن سعاد الصباح هنا – حسب المغيض – لم تركز على عبدالله المبارك كزوج وإنما كرجل رمز ومعلم و وطني مخلص ، وقد تحدثت عنه في كتاباتها وحواراتها كثيرا، فتقول عنه بأنه "رجل حضاري بكل معنى الكلمة، يؤمن بالعلم والمعرفة، وبحق المرأة أن تشق طريقها على قدم المساواة مع الرجل، وإذا وصلت إلى ما وصلت إليه من المعرفة فإن عبدالله المبارك كان وراء مجدي وانتصاراتي".[1]

وفى ضرب آخر من ضروب العدول بالحذف التى نلمسها لدى الشاعرة ذلك الذى نراه فى قصيدتها (القبض على فاطمة)[2] حيث تقول :

هذي بلادٌ . . تَخْتِنُ القصيدةَ الأُنثَى . .

و تشنُقُ الشمسَ لدى طُلوعِها

حفظاً لأمنِ العائلةْ

و تذبَحُ المرأَةَ إن تكلَّمَتْ

أو فكَّرَتْ

أو كتَبَتْ

أو عشَقَتْ

غَسلاً لعارِ العائلةْ . . .

فنحن هنا بإزاء بلاد تبدو مجهولة جهالة الكلمة النكرة التى تعبر عنها ولكنها تخرج من مجهوليتها نحوا ما لدى القارئ لانها مشار إليها فهو وإن حذفت الأسماء المعبرة عن هذه البلاد فهى فى الحقيقة غير مجهولة و من ثم تأتى روعة التعبير وسر من أسرار تأثيره وقوته ، ولا يخلو استخدام الجمع (بلاد) من دلالته فهى لا تخص بلدا بعينه بل حزمة من البلاد يعرفها القارئ كما تعرفها وإن لم تسمها.

ومن صور الحذف المبتكرة هو ما يمكن تسميته (حذف المتوقع ثم إعلانه كالمفاجأة) وأعنى به أن الشاعر قد يلقى الكلمة ويكتب بعدها حروفا تشير كأن هنالك معانى محذوفة مضمرة وكأنها تقف على تلك الكلمة هنيهة لتثير ذهن القارئ ثم تفاجئه بالكلمة التى هى اختيارها فيكون فى ذلك من التشويق والامتاع للمتلقى ما فيه وهى تشير إلى أن الشعر بالأساس ظاهرة صوتية وقوته فى القراءة أكثر

١-حمامة السلام : علي المسعودي، ص ٩١ وما بعدها .

٢سعاد الصباح ، ديوان خذنى إلى الشمس ص ٢٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منها فى الكتابة وهذه الظاهرة على هذا الضرب كما أجرته الكاتبة فى دواوينها هو علامات الابداع الملهم بغير شك ، قالت في ذات القصيدة السالفة (القبض على فاطمة) [1].

هذي بلادٌ لا تريدُ امرأةً رافضةً . .

و لا تريدُ امرأة غاضبةً

و لا تريدُ امرأة خارجةً

على طقوُسِ العائلةْ

هذي بلادٌ لا تريدُ امرأةً . . .

تمشي أمامَ . . . القافلَهْ . . .

ثم تقول [2]

هذي بلادٌ أكلتْ نساءها . . .

و اضطجعتْ سعيدةً . .

تحت سياطِ الشمسِ و الهجيرْ

هذي بلادُ الواق و الواقِ . . التي تصادرُ التفكيرْ

و تذبحُ المرأةَ في فراشِ العُرْسِ . . كالبعيرْ . .

و تمنعُ الأسماكَ أن تسبحَ

و الطيورَ أن تطيرْ . .

هذي بلادٌ تكرهُ الوردةَ إن تفتَّحتْ

و تكرهُ العبيرْ

---

[1]-ديوان خذني إلى حدود الشمس، ص٢٨.

[2]--ديوان خذني إلى حدود الشمس، ص٢٨

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و لا ترى في الحُلْمِ إلا الجِنْسَ . . و السريرْ . . .

ومن صور العدول بالحذف ذلك الذى يمكن وضعه فى باب (ولكم فى القصاص حياة) أى تلك المعانى البليغة الموجزة التى تحمل فى طياتها معانى أعمق فوصف البلاد بأنها أكلت نساءها وتمنع الطيور أن تطير وتكره العبير ولا ترى فى الأحلام إلا السرير فيها جميعا من المعانى اللطيفة ما فيها وما يستحق الإشادة .

أما الصور البسيطة الأخرى من صور العدول بالحذف كحذف الحرف أو الكلمة أو نحو ذلك بدلالة السياق على المحذوف فلا يبدو أن الشاعرة تميل إليه لأنه لا يمثل الوجه الذي تميل إليه طباع الشعراء فلا تكاد تقف من ذلك إلا على مواضع محودوة هنا وهناك .

وعلى عكس ما نرى توفيق الشاعرة فى استخدام تقنياتها إلا أن تشبيه المرأة بالبعير لا يبدو موفقا على الاطلاق وقد نرى أنه لم يضطرها إليه سوى القافية فالصورة الذهنية لذبح البعير فى ضخامته وقوته ومقاومته أحيانا لا تتناسب مع ما أرادت من ذبح المرأة ليلة عرسها ذبح سماح واستسلام كما أنك لا تكاد تجد رابطا من أى وجه للشبه هنا بين المرأة والبعير غير لون الدم عند الذبح ولعله غاية ما أرادت الشاعرة أن توحى به لكننى أرى أنه قد خانها التعبير هنا على نحو ما ، وهو ما أحببت الإشارة إليه إشارة عابرة كما نشير إلى مواضع إجادة الشاعرة وحسن استخدامها تقنياتها .

<u>ثالثا: العدول بالزيادة</u>

الزيادة في اللغة :" النمو ، والإضافة ، ومضاعفة الشيء " [1].

وفي الاصطلاح جاءت التعريفات كالآتي " للجملة أركانها وفضلاتها من المنصوبات والمجرورات ، فإذا ورد فيها غير ذلك فهو زائد على مطالب الصحة والإفادة ، وما دامت زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، فإن في زيادة المبنى تأكيدا للمعنى ....والزيادة إحدى وسائل التوكيد لا مشاحة في ذلك "[2].

فالزيادة تعني إضافة كلمة إلى الجملة أو حرف إلى أحدى كلمات الجملة لغرض ما؛ كأن يؤكد معنى موجودا، فكل زيادة في المبنى تقابلها زيادة في المعنى ، وهذه الزيادة المضافة لا تفيد صحة وإفادة ،وذلك أن الجملة صحيحة مفيدة بدون هذه الزيادة .

---

[1]- الصحاح في اللغة : الجوهري ، ٤٨١/٢.

[2]-البيان في روائع القرآن : تمام حسان ، ص١٧٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا يعني القول بالزيادة أن هذا من قبيل الحشو الذي لا فائدة منه ، وإنما حدد النحاة لكل جملة أركانها ومكملاتها القياسية ، بحيث يتم المعنى الوظيفي للجملة بوجود هذه العناصر ، ولكن المعنى المطلوب بالجملة ليس وظيفيا فقط ،وإنما يتخطى مجرد الوظائف من فاعليته إلى مفعوليته ، فيسلك مسالك أسلوبية لا يحققها إلا العناصر الزائدة على مجرد النمط التركيبي ذي المعنى الوظيفي ، وإذا كان النحاة مسؤولين عن وصف هذه العناصر بالزيادة ، فإن البلاغيين يعترفون بما تضيفه هذه العناصر إلى المعنى ، حيث يقولون " زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى " ويقصدون بزيادة المعنى ما يلحقه التوكيد من جراء الزيادة في المبنى " [1].

قالت سعاد الصباح في قصيدة (اعتذر لك) [2].

أعتذِرُ لكَ يا سيّدي . .

أعتذِرُ لكَ يا سيّدي . .

أعتذِرُ لكَ . . من أعماقِ القلب ،

و من تشقّقات الفكر ،

عن الزّمنِ الضائع . . .

الذي لم تكُن فيه حبيبي

أعتَذر لَك عن الصّيْفِ و الشّتاءْ

و عن الخريفِ و الرّبيعْ

و عن كلِّ جزءٍ من أجزاءِ الثانيَة ...

لمْ أُخبئك به تحت أجفاني

و لم أسقِكَ من حليبِ حناني

في القصيدة نجد سعاد الصباح التي هامت عشقا بزوجها عبدالله بن المبارك ، وهي بذلك تستخدم كل طاقتها في إيصال هذه الصورة من خلال الزيادات التي تسوقها في القصيدة فأولها زيادة جملة أو عبارة

---

[1]-البيان في روائع القرآن : تمام حسان ، ص٢٨٥.

[2]- ديوان خذني إلى حدود الشمس : سعاد الصباح ، دار الصباح للنشر والتوزيع ، ١٩٩٧م، ص١١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذات دلالة كما نرى فى إضافتها عبارة (من أعماق القلب) التى استغنت عنها فى السطور السابقة التى كررت فيها الاعتذار، ثم كانت عبارة من أعماق القلب إضافة تشير إلى عمق معنى الاعتذار وصدقه ، وإن لم تكن – بتقديرى - بالغة الروعة إذ هى مما هو من معتاد القول فى مواقف الاعتذار .

وهناك صورة أخرى لا تخطئها العين من صور العدول بالزيادة وهى تكرار الكلمات ذاتها كما نرى فى افتتاحية القصيدة وهذه التقنية بالمناسبة من التقنيات التى تكثر فى شعر سعاد الصباح والتكرار والالحاح على الألفاظ والمعانى قريب من طبيعة الأنثى بوجه عام ، وهو لا يستحسن بالاطلاق إلا إذا أدى وظيفة جمالية، كما نرى فى سورة الرحمن القرآنية مثلا فى تكرار قوله تعالى : " فبأى آلاء ربكما تكذبان "[1] . فبالإضافة لما رأينا آنفا نرى ذلك في قصيدة (كن صديقي)[2]

كن صديقي ،

كن صديقي

فأنا محتاجة جداً لميناء سلام

وأنا متعبة من قصص العشق ، وأخبار الغرام

وأنا متعبة من ذلك العصر الذي

يعتبر المرأة تمثال رخام ..

والأمر نفسه أى تكرار الكلمات أو العبارات يطالعنا في قصيدة (حلم)[3] من ديوانها (فى البدء كانت الانثى) حيث تقول :

حلمت ليلة أمس

بأنني أصبحت سمكةْ

تسبح في مياه عينيك الصافيتينْ

خفت أن أقصّ عليك الحلمْ

---

[1]- سورة الرحمن، الآية ١٢.

[2]- ديوان في البدء كانت الأنثى : سعاد الصباح ،ص٩٠.

[3]- ديوان في البدء كانت الأنثى : سعاد الصباح ،ص١٢٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتى لا تُغلق أهداب عينيك عليَّ

وتخنقني ..

فهى لا تزال تكرر في بداية كل مقطع عبارة (حلمت ليلة أمس) وكأنها تستحضر ذلك الحلم مستلهمة سورة الرحمن ، وفى ديوان ثالث نلحظ الأمر نفسه أى تكرار الألفاظ فتقول في قصيدة رقم (٤) من مجموعة (قصيدة حب) [١].

هل أنا حبيبتك ؟

أم أنا أمك ؟

هل أنا مليكتك ؟

أم أنا مملوكتك ؟

هل أنا أنا ؟

أم أنا أنت ؟

فالظاهرة كما نرى تتكرر فى قصائد متنوعة بثلاثة دواوين مختلفة بما يؤكد تأصل الظاهرة لديها وهو أمر كما قلنا يتناسب تماما وطبيعة الأنثى فضلا عن أنه يلائم السياق ويضيف إلى المعنى طاقات تعبيرية لا تنكر .

وهناك صورة ثالثة من صور العدول بالزيادة نلحظه لدى سعاد الصباح ، وهو تكرار المعنى والإلحاح عليه ، وليس فقط تكرار اللفظ فمعنى الاعتذار عن الزمن الذى ضاع من الشاعرة قبل أن يتعرف حب فارس أحلامها ويدخل حياتها هذا المعنى تكرر فى القصيدة بأكثر من صورة كما نلحظ فحين يتملكنا الفضول عن موضوع هذا الاعتذار البليغ الصادر من أعماق القلب برغم ما نعرف من إخلاصها لزوجها وتفانيها فيه حبا وهياما نجد الشاعرة تفسره بأنه اعتذار عن الزمن الذى لم تكن فيها أحبت حبيبها بعد- وهو زوجها الذى قالت فيه أجمل قصائدها- وهى تكرر المعنى نفسه تقريبا فى المقطع التالى فنراها تعتذر كذلك عن الزمن الذى ضاع دون أن تخبئ الحبيب بين أجفانها وتسقيه حليب حنانها وهو تقريبا مضمون المقطع الأول وإن عبرت عن الزمن بألفاظ مختلفة بالفصول الأربعة وثوانى الزمن بل

[١]-ديوان قصائد حب : سعاد الصباح ، إصدار دار سعاد الصباح ١٩٩٢م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يتكرر ذلك فى المقاطع التالية حيث تكرر التعبير عن الزمن بكلمات ومرادفات أخرى ثم عن الحب الذى لم يكن كما أرادت أو حين أرادت له أن يكون بمعادلات لفظية أخرى كما نرى فى سطورها الآتية [1]:

أعتذِرُ لكَ يا سيّدي . .

أعتذِرُ لكَ عن طفولتي ،

التي مرّت بلا لونٍ .. ولا طعمٍ ... ولا رائحة ...

فلا قرأتُ خطوط يديكَ جيّداً

و لا استوعبتُ رائحةَ شجاعتِكَ جيّداً

أعتَذرُ ... عن أيّامي التي لم تكُن أيّاماً ،

و تاريخي . . الذي لم يكُن تاريخاً . . .

و حدائقي . . التي كانتْ لا تُزهِر . . .

و سمائـي . . التي كانت لا تُمطِر . . .

فنحن هنا إذن بإزاء لون آخر من ألوان العدول بالزيادة الذى ينصب على تكرار المعنى نفسه بما يشى بغلبة ذلك الشعور على نفس الشاعر وتأصله ، وهو مما يحسن أكثر الاحيان ويستحسنه الناس والشعراء .

<u>رابعا: العدول بنقص القاعدة النحوية</u>

نعني بالانزياح في البناء النحوي أو نقص القاعدة النحوية ، التحول أو الانكسار في نسق المكونات النحوية للتعبير ، ويمكن القول إن صورالانزياح في هذا المجال عند إعادة عنصر من عناصر البناء النحوي على نمط مخالف لما ورد به أولا في التعبير أو السياق، بحيث يكون المعنى الذي يؤديه التعبير مع هذه المخالفة هو لو تغاضينا عن خصوصيتها في أدائه ما يتأدى بدونها ــ من ذلك مثلا بناء الفعل للمفعول بعد بنائه للفاعل أو العكس، أو يراد به تارة لازما وأخرى متعديا أو التحول في بناء الجملة عن نمط الفعلية إلى نمط الاسمية أو العكس وما إلى ذلك من تحولات تفاجئ المتلقي وتثير تأمله بحثًا عن مثيراتها السياقية وظلالها الدلالية الخاصة "[2].

---

[1] المرجع السابق

[2] - أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية : حسن طبل ، ص١٤٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعد هذا النوع من العدول ظاهرة مهمة في شعر سعاد الصباح فإن " الشاعر عامة لا يفكر في اللغة أو النحو وهو يعبر عن تجربته الشعرية ، إلا أن ما يقوله فعلا لا يخرج عن الإطار الذي رسمته القواعد إلا في حالات قليلة وجدت البلاغة لها مسوغات في سبيل إيجاد لغة ذات طبيعة تواصلية ، بوسعها التأثير في السمع ملبية لديه حاجات فنية وجمالية ، غير أن ماتتيحه البلاغة لمنشىء القول الأدبي لا يصل في كل حالاته إلى درجة تحطيم القواعد المستقرة للغة ، وإنما تتيح ما يتضمن للظاهرة الأدبية النمو في حدود ما تجيزه القواعد أصلا ، وهي الحال التي لا تتعدى استخدام بعض الكلمات بعيدًا عن دلالاتها المألوفة كما هو الشأن في المجاز أو التصرف في ترتيب الكلمة بصورة تخالف النسق كما هو الحال في التقديم والتأخير ، أو التركيز على الصيغ المتقابلة التي من شأنها كسر تسلسل الكلام ، ومنعه من الجريان على وتيرة واحدة كما هو الحال التي تبدو في استعمال التضاد " [1].

ومن شأن هذه الوسائل جميعًا التحول على الصعيد الأسلوبي إلى منبهات تثير المتلقي ، وتخلق لديه قدرة على تمثل القيم الفنية التي ينطوي عليها الأثر الأدبي .

تقول في قصيدة (الثلج في مجيف) في المجموعة "٣" [2].

الثلجُ في " مِجيفْ "

أسودُ ... أسوَدْ

و المتزحلقونَ على الجليد

يتزحلقون على أسلاكِ أعصابي .

" مِجيفُ " ترفضُ أن تستقبلَني

و ترفِض أن تكلّمني . . .

و ترفض أن تعترِف بِشرعيّـتي

إلا و أنا متعلّقة بذراعك اليسرى . . .

فهـَل يمكن أن تَرُدَّ إليَّ اعتباري ؟

١- الأنحراف الأسلوبي (العدول) في شعر أبي مسلم البهلاني (١٨٦٠م ــ ١٩٢٠م) : د. أحمد علي محمد ، مجلة جامعة دمشق مج ١٩، العدد (٣ــ٤)،٢٠٠٣م. صـ ٦٨،٦٩.

٢- ديوان خذني إلى حدود الشمس ، سعاد الصباح ، ص٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في هذه القرية الفرنسيّة الجميلة

التي اختارتكَ رئيساً لبلديتها ؟ . . .

فالثلج لا يوصف أبدا بالسواد فمن شأنه أنه أبيض دوما، ولكنه التصرف على غير مقتضى ما تقتضيه القاعدة النحوية أو الدلالية بما يثير ذهن القارئ إزاء هذه الصورة الغريبة ، وتبدو هنا كلمة (يتزحلقون) أقرب إلى العامية منها للعربية والأفصح المستخدم هو التزلج، ولكن الكاتبة تؤثر فى أكثر الأحيان أن تجعل لغتها قريبة من لغة المثقف العربى، ولعلها تصورت أن ذلك أدعى لتحقيق التواصل بينها وبين المتلقى غير أنها نظرية حاطئة بوجه عام والحفاظ على مستوى اللغة الراقى لم يكن يوما عقبة فى سبيل استيعاب المثقف المستهدف

وظاهرة التلاعب بالمعنى ، وتحميله مضامين جديدة معبرة هو من المهارات اللغوية التى بدا أن للشاعرة بها ولعا ، وتبدو متقنة لها عن وعى فهى فى السطور التالية تجعل للصوت لونا ورائحة وهو من المعانى العميقة لدى الشاعرة التى تشير إلى عمق العلاقة التى ربطتها بزوجها الراحل ، تقول في المجموعة (٤) ، من قصيدة " الثلج فى مجيف "([1]).

شَوارعُ " مِجيفْ " مضرّجةٌ برائحةِ صوتِكْ

و كراسي المقاهي . . محجوزةٌ على اسمكْ . .

و جُبْن منطقة " السافوا " . . لا طعمَ لهُ بعدَك . .

و آثارُ أقدامِكَ على الثلج . .

محفورةٌ على جدرانِ الذاكرة . .

فأعِدْ إليَّ يا سيّدي . .

خرَائط المدينـه . . .

فالشوارع مضرجة برائحة الصوت ، وللاقدام آثار على الثلج لكنها فى حقيقة الأمر محفورة بجدران ذاكرتها ، والحبيب هو من يملك خرائط المدينة فلا معنى لأى شئ دون وجوده بجانبها وهى جميعا من قبيل المعانى التى تحمل دلالات انزاحية لا تخفى دلالتها فى المبحث الذي بين أيدينا.

[1]- ديوان خذني إلى حدود الشمس ، سعاد الصباح ، ص٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثانى

العدول الصرفي فى شعر سعاد الصباح

المبحث الأول: مفهوم العدول الصرفى:

العدول الصرفي عبارة عن مركب إضافي، ولا يمكننا أن نتوصل إلى معناه إلا عن طريق تحليل أجزائه المركب منها، وهي (العدول) و (الصرفي) ، فنقف مع الكلمتين من الناحية اللغوية أولا ثم نعرض لهما مركبين اصطلاحا :

✓ العدول الصرفي اصطلاحا :

أما العدول في اصطلاح علماء اللغة فإنما يعنون به الخروج عن القاعدة المطردة، يسمون ذلك حينا بالشذوذ وتارة بالعدول عن الأصل "فجعل أهل العربية ما استمر من الكلام في الإعراب وغيره من مواضع الصناعة مطردًا، وجعلوا ما فارق ما عليه بقية بابه وانفرد عن ذلك إلى غيره شاذًا"[١] والعدول إما أن يكون عن أصل الوضع اللغوي أو بالمخالفة للقاعدة التي خلص إليها اللغويون من خلال الاستقراء والقياس فـ"الأسلوب العدولي خروج عن أصل أو مخالفة لقاعدة "كما يقول الدكتور تمام حسان [٢]

ولأن علم الصرف لم يستقل بالبحث إلا عند المتأخرين فلم نجد له تعريفا عند قدماء اللغويين فالنحو عند النحاة المتقدمين يشمل النحو والصرف معا على أية حال فقد استقر الاصطلاح على أن علم الصرف "علم يعرف به صياغة الأبنية وأحوالها وما يعرض لها مما ليس بإعراب ولا بناء "[٣]

ويأتي ابن الأثير ليتكلم بدقة عن العدول في المستوى الصرفي وعلاقته بالأغراض البلاغية قائلا :" العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطلع على أسرارهما، وفتش عن دفائنهما، ولا تجد ذلك في كل كلام؛ فإنه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقّها فهما وأغمضها طريقا "[٤]

---

[١] الخصائص (١/ ٩٨)أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة

[٢] البيان في روائع القرآن تمام حسان ج٢ صـ٧٧ مكتبة الأسرة ٢٠٠٣ القاهرة.

[٣] ينظر الشافية في علمي التصريف والخط (ص: ٥٩)عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمر وجمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (المتوفى: ٦٤٦هـ)المحقق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر الناشر: مكتبة الآداب-القاهرة الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م والمغني في تصريف الافعال د . محمد عبد الخالق عضيمة ط/ دار الحديث القاهرة ص ٣٤

[٤] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (٢/ ١٢) نصر الله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، الجزري، أبوالفتح، ضياءالدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ)المحقق: محمد محي الدين عبدالحميد الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر-بيروت عام النشر:١٤٢٠ هـ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي ضوء ما تقدم من تعريفات لغوية واصطلاحية نستطيع وضع إطار محدد للمصطلح والدراسة معا فنقول وبالله التوفيق أن العدول الصرفي هو خروج عن القاعدة اللغوية في مستواها الصرفي (بنية الكلمة) لغرض دلالي . فالمتكلم يعدل عن أصل البنية بإجراء تصريفي ويحول صيغة اللفظ لصيغة أخرى من أجل معان إضافية لا تستطيع الصيغة المعدول عنها الوفاء بها .

وما يعنينا في هذه الدراسة هو رصد الأبنية التي حدث فيها عدول عن الأصل من خلال المنجز الشعري للشاعرة سعاد الصباح باحثين عن الهدف الدلالي من وراء تركها لصيغة قياسية واستعمالها لصيغة أخرى .

المبحث الثاني : العدول الصرفي في الدرس اللساني، قديمه وحديثه

العدول الصرفي في الدرس اللساني القديم

إن الجذور الأولى للتعرف على ظاهرة العدول الصرفي ليست وليدة العصر الحديث ، أو المدرسة الغربية ، بل هي ممتدة في تراثنا العربي القديم دون خفاء ، أو قصور في التناول ، وقد حظيت بعناية اللغويين والبلاغيين والأدباء كل حسب مشربه فلدينا معطيات لظاهرة العدول الصرفي في تراثنا العربي، وخاصة في الجانب التطبيقي. وإن جاءت موزعة بين كتب اللغة والتفسير والمعاجم والأدب .

بداية نجد أراء متناثرة وإشارت خاطفة إلى وجود عدول في بعض أبنية الألفاظ العربيةفقد اعترف اللغويون العرب بإمكانية العدول عن القاعدة حينما تلمسوا مبررا للخروج عليها من قبل الشعراء فيما يعرف بالضرورة الشعريةفالشعرالجاهلي الذي كان عماد التقعيد والاستشهاد لدى النحاة لم يخلو من هذه الضرورات وهو في أعلى درجات الفصاحة عندهم مع ذلك ،لكن الشعر عمل إبداعي في المقام الأول وليس كلغة التواصل العادية من ثم يلجأ الشاعر أحيانا لتغيير بعض أبنية الكلمات لتؤدي دلالة معينة أو يحدث انسجاما صوتيا ما يتوافق مع الوزن والقافية قال الخليل بن أحمد: (١٧٠هـ)"الشعراء أمراء الكلام، يصرّفونه أنّى شاءوا؛ وجائز لهم ما لا يجوز لغيرهم: من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تصريف اللّفظ وتعقيده، ومدّ مقصوره، وقصر ممدوده، والجمع بين لغاته، والتفريق بين صفاته" [1]لقد عرف

[1] زهر الآداب وثمر الألباب (٣/ ٦٨٧) إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري،أبو إسحاق الحُصري القيرواني (المتوفى: ٤٥٣هـ) الناشر: دار الجيل، بيروت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدكتور محمد حماسة عبداللطيف الضرورة الشعرية بقوله "هي الخروج على القاعدة النحوية والصرفية في الشعر خاصة لإقامة الوزن وتسوية القافية "١

ويعد إمام العربية سيبويه (١٨٠هـ) من أقدم الذين استعملوا لفظ العدول وعقد له بابا مستقلا في كتابه وإن كان مقصده العدل الذي يمنع الاسم من الصرف ومثل له قائلا :" باب ما جاء معدولا عن حده من المؤنث كما جاء المذكر معدولا عن حده نحو: فسق، ولكع، وعمر، وزفر ...

فقلتُ لها عِيشِي جَعارِ وجرِّري ... بلحم امرىء لم يَشْهَدِ اليومَ ناصِرُهُ.

وإنَّما هو اسم للجاعرة، وإنَّما يريد بذلك الضَّبع. ويقال لها: فثام، لأنَّها تقثم أي تقطع. وقال الشاعر:

لِحَقَتْ حَلاقِ بهمْ على أكْسائهمْ ... ضَرْبَ الرِّقاب ولا يهمُّ المغنم

فحلاق معدول عن الحالقة، وإنَّما يريد بذلك المنية لأنها تحلق. وقال الشاعر، مهلهلٌ:

ما أرجّى بالعيش بعد ندامى ... قد أراهم سقوا بكأسِ حَلاقِ

فهذا كله معدولٌ عن وجهه وأصله، فجعلوا آخره كآخر ما كان للفعل، لأنَّه معدول عن أصله، كما عدل: نظار وحذار وأشباههما عن حدهن، وكلهن مؤنث، فجعلوا بابهنَّ واحدا."٢

هكذا نرى سيبويه رحمه الله لم يقتصر على ذكر العدول من صيغة لأخرى وحسب إنما علل دلاليا لأسباب هذا العدول ومسوغاته فنراه يقول:" وإنَّما هو اسم للجاعرة، وإنَّما يريد بذلك الضَّبع. ويقال لها: قثام، لأنَّها تقثم أي تقطع. ... فحلاق معدول عن الحالقة، وإنَّما يريد بذلك المنية لأنها تحلق. "

وعبر بعض المصنفين القدامى عن العدول بلفظ الغرابة والمجاز فمن الغرابة عندأبي عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٩هـ) العدول عن النمط اللغوي المعتاد في النوع أو العددوقد جرى القرآن الكريم على سنة العرب في عدم المطابقة هذه "ففى القرآن ما فى الكلام العربىّ من الغريب والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختصر، ومجاز ما حذف، ومجاز ما كفّ عن خبره، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين، ومجاز ما جاء لفظه خبر الجميع على لفظ خبر الواحد، ومجاز ما جاء الجميع فى موضع الواحد إذا أشرك بينه وبين آخر مفرد، ومجاز ما خبر عن

١لغة الشعر دراسة في لغة الشعر د محمد حماسة عبداللطيف دار الشروق القاهرة ط ١ ١٤١٦هـ ١٩٩٦م ص ١٠

٢الكتابلسيبويه (٣/ ٢٧٤)عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبوبشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ) المحقق: عبدالسلام محمد هارون الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اثنين أو عن أكثر من ذلك، فجعل الخبر للواحد أو للجميع وكفّ عن خبر الآخر، ومجازما خبّر عن اثنين أو أكثر من ذلك، فجعل الخبر للأول منهما، ومجاز ما خبّر عن اثنين أو عن أكثر من ذلك، فجعل الخبر للآخر منهما، ..... وكل هذا جائز قد تكلموا به."[1]

وتراث القرن الثالث الهجري كما نرى كسابقه،في تناول ظاهرة العدول ضمن اهتمامات لغوية أخرى،مع تقدم ملحوظ يتمثل في عد قضية العدول سنة من سنن العرب في كلامها فمن لغوي هذا العصر ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (٢٤٤هـ) نقل لنا السيوطي قوله :" ومن سنن العرب أن تأتي بالفعل بلفْظِ الماضي وهو حاضر أو مستقبل أو بلفظ المستقبل وهو ماض نحو قوله تعالى: {أتى أمرُ الله} أي يأتي. {كنتُم خيرَ أُمَّة} أي أنتم. واتَّبعوا ما تَتْلو الشياطينُ أي ما تَلَت. وأن تأتي بالمفعول بلفظ الفاعلنحو سرٌّ كاتم أي مكتوم. وماء دافق أي مَدفوق.....وبالفاعل بلفظ المفعولنحو عيش مغبون أي غابنذكره ابن السِّكيت. "[2]

ونعى الجاحظ (٢٥٥هـ)في البيان والتبيين عدول عامة الناس عن اللفظ الأولى بالاستخدام والأفصح في البيان إلى ما هو أقل منه بيانا وفصاحة واستعمال بعض الأبنية والصيغ وغيرها أولى بالاستعمال قال: "وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها. ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام. والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث.."٣ سبحان الله إنها أرزاق ! وإلا لماذا لم يفطن جمهرة الناس أو العامة كما يسميهم الجاحظ للعدول القرآني عن صيغ الجمع في الأرض والسمع "ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين. ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعا. والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال....والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما، وتستعمل ما هو أقل في أصل اللغة استعمالا وتدع ما هو أظهر وأكثر، ولذلك صرنا

---

[1] مجازالقرآن (١/ ١٩) أبوعبيدة معمر بن المثنى البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ) المحقق: محمد فواد سزگين الناشر: مكتبة الخانجى - القاهرة الطبعة: ١٣٨١ هـ

[2] المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/ ٢٦٥)عبد الرحمن بن أبي بكر،جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: فؤادعلي منصور الناشر: دارالكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م

[3] البيان والتبيين (١/ ٤١)المؤلف: عمرو بن بحر بن محب وبالكنانيب الولاء،الليثي،أبوعثمان،الشهيربالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال،بيروت عام النشر: ١٤٢٣ هـ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجود منه، وكذلك المثل السائر.وقد يبلغ الفارس والجواد الغاية في الشهرة ولا يرزق ذلك الذكر والتنويه بعض من هو أولى بذلك منه. ألا ترى العامة أن ابن القرية عندها أشهر في الخطابة من سحبان وائل. .."[1]

ولعل السر في عدول الناس وانصرافهم عن هذه الصيغ البليغة المؤثرة أنهم يقصدون مجرد التواصل بينهم وتحقيق غرض الإفهام فقط من ثم يؤثرون المباشرة والتزام القواعد الصريحة ويغضون الطرف عن الأساليب العدولية المشوقة والمثيرة والزاخرة بالإيحاءات كي لا يقعوا في لبس ما بسبب هذه اللغة الأدبية الرصينة وهم في غنى عنه .

لكن لماذا هذا العدول عن بعض الصيغ إلى صيغ أخرى؟ ما السر الدلالي وراء هذا العدول؟

لم يشر إلى ذلك ابن السكيت أو الجاحظ ، وكانت أمثلتهما مقتضبة دون شرح ، إنها ومضات وإشارات لم ينّمها أو يلتقطها أحد من عصره .حتى جاء الرماني (٣٨٤هـ) من علماء القرن الرابع الهجري فرزقه الله فهما أرحب، وأفاض شيئا ما حول العدول الصرفي تحديدا وأسراره الدلالية يقول :" المبالغة هي الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة. والمبالغة على وجوه منها المبالغة في الصفة المعدولة عن الجارية بمعنى المبالغة ، وذلك على أبنية كثيرة منها: فعلان ، ومنها فعال ، وفعول ، ومفعل ، ومفعال. ففعلان كرحمان عدل عن راحم للمبالغة ، ولا يجوز أن يوصف به إلا الله عز وجل لأنه يدل على معنى لا يكون له ، وهو معنى وسعت رحمته كل شيء، ومن ذلك فعال كقوله عز وجل: {وإني لغفار لمن تاب} معدول عن غافر للمبالغة ، وكذلك توَّاب ، وعلام ، ومنه فعول كغفور وشكور ، وودود ، ومنه فعيل كقدير ، ورحيم ، وعليم، ومنه مفعل كمدعس ، ومطعن ، ومفعال كمنحار ، ومطعام."[2] إن حديث الرماني هنا في صلب العدول الصرفي لم يمزجه بالعدول النحوي أو الدلالي أو البلاغي كما فعل آخرون لكنه لم يستوعب كل الأبنية العربية أو على الأقل قدّم نماذج لكل باب من الأبواب الصرفية حسبه أنه وضع أساسا يبني عليه غيره

---

[1] السابق ج١ص٤١

[2] النكت في إعجازالقرآن (ص: ١٠٤)النكت في إعجازالقرآن مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجازالقرآن [سلسلة: ذخائرالعرب (١٦)]المؤلف: علي بن عيسى بن علي بن عبد الله،أبوالحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ)المحقق: محمد خلف الله،د. محمد زغلول سلام الناشر: دارالمعارف بمصر الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهاهو فقيه العربية أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ)يخطو بنا خطوات أوسع فيعد هذا العدول بوسائله المختلفة من الحذف والزيادة والتقديم والتأخير ...إلخ أحد سمات شجاعة العربية ، ويا له من تعبير شديد الإيحاء والدلالة على ما نحن بصدده كما وكيفا، فمن ناحية الكم يفرد أبوابا مستقلة في صلب الظاهرة كالتالي :

١-"باب في شجاعة العربية"[١]

٢-" باب في نقض العادة: المعتاد المألوف في اللغة أنه إذا كان فعل غير متعدٍّ كان أفعل متعديًا؛ ....غير أن ضربًا من اللغة جاءت فيه هذه القضية معكوسة مخالفة، فنجد فعل فيها متعديًا، وأفعل غير متعد."[٢].

٣-فصل في الحَمْل على المعنى:اعلم أن هذا الشَرْج غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح. قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورًا ومنظومًا؛ كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنيث، وتصوير معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول أصلًا كان ذلك اللفظ أو فرعًا، "[٣]

ومن زاوية الكيف تناول موضوع العدول مؤسسا لهذه المظاهر (الحذف – الزيادة -التقديم -التأخير - الحمل على المعنى -التحريف) عبر مستويات اللغة النحوية والدلالية والصرفية و الصوتية يقول :" اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف. الحذف: قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلّا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته."[٤]

"ومع اعترافنا بأن اللغة نظام بالغ الدقة يضبط عناصرها، ويحدد علاقاتها فيما بينها، إلا أنه يجدر بنا التفريق بين هذا النظام واستنباط النحاة له وصياغته في شكل قواعد ومبادئ، قد يصيبها التعسف وتفتقد المرونة أحيانا، إن من الشجاعة الأسلوبية تحديد هذه الأطر والقواعد المطردة الذي قننها النحاة في حدود ضيقة،"[٥]لأنه قد تتعارض غاية صرفيه (دلالة بنية قياسية) مع غرض أسلوبي (دلالة بلاغية صوتية)، ومن

---

[١]الخصائص (٢/ ٣٦٢) أبوالفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)

[٢]الخصائص (٢/ ٢١٧)

[٣]الخصائص (٢/ ٤١٣)

[٤]الخصائص (٢/ ٣٦٢)

[٥]بحث بعنوان "حذف حرف العلة من المضارع المرفوع في القراءات القرآنية دراسة تحليلية"د /ربيع محمد محمد حفني مجلة جامعة المدينة العالمية مجمع العدد الثاني عشر ص٥٢٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولى بالتقديم والرعاية حينئذ ؟ لا يتردد الشاعر أو الناثر ويؤثر دلالته الأدبية للوصول لغايته الأسلوبية البلاغية. ويعدل عن الصيغة الصرفية القياسية لأخرى قد تكون أقل قياسا. وهنا مكمن الحسن "وذلك أنك في المبالغة لا بد أن تترك موضعًا إلى موضع؛ إما لفظًا إلى لفظ، وإما جنسًا إلى جنس، فاللفظ كقولك: عراض، فهذا قد تركت فيه لفظ عريض. فعراض إذًا أبلغ من عريض. وكذلك رجل حسان ووضاء؛ فهو أبلغ من قولك: حسن، ووضئ، وكرام أبلغ من كريم؛ لأن كريمًا على كرم وهو الباب وكرام خارج عنه. فهذا أشد مبالغة من كريم. قال الأصمعي: الشيء إذا فاق في جنسه قيل له: خارجي. وتفسير هذا ما نحن بسبيله، وذلك أنه لما خرج عن معهود حاله أخرج أيضًا عن معهود لفظه. ولذلك أيضًا إذا أريد بالفعل المبالغة في معناه، أخرج عن معتاد حاله من التصرف فمنعه. وذلك نعم وبئس وفعل التعجب. ويشهد لقول الأصمعي بيت طفيل:

وعارضتها رهوا على متتابعٍ ... شديد القصيرى خارجي محنب"[١]

أما أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) فيؤسس لما يمكن أن نسميه قاعدة عدولية فكلما كان العدول عن الصيغة أشد كانت الدلالة أبلغ "وَعِنْدنَا أَن الرَّحِيم مُبَالغَة لعدوله وَأَن الرَّحْمَن أَشد مبالغة فَكلما كَانَ أَشد عُدُولًا كَانَ أَشد مُبَالغَة"[٢]

يوضح كنه هذه المبالغة أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (٤٠٣هـ) فيقول : "وأما المبالغة "، فهي: الدلالة على كثرة المعنى. وذلك على وجوه: منها مبالغة في الصفة المبينة لذلك، كقولك: " رحمن " عدل عن راحم "[٣]

إن الموروث البلاغي العربي قامت مباحثه في علم المعاني والبيان "على العدول عن النمط المثالي المألوف في صياغة الكلام عند علماء اللغة للكشف عن العناصر الفنية للتركيب وجمالية تتصل بالمعنى فبحثوا: التقديم والتأخير والحذف والزيادة والتعريف والتنكير والوصل والفصل والالتفات وغير ذلك "[٤]فعلى سبيل المثال الإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) يذكر لنا في دلائل الإعجاز "أَنَّ الكلامَ الفصيحَ ينقسمُ قسمين: قسمٌ تُعزى المزيةُ والحسْنُ فيه إِلى اللفظِ وقسمٌ يعزى ذلك فيه إلى النظم القسم الأول:

---

[١]الخصائص (٣/ ٤٨)

[٢]الفروق اللغوية للعسكري (ص: ١٩٦)

[٣]إعجازالقرآن للباقلاني (ص: ٢٧٣) أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف - مصر الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م

[٤]بحث في شبكة الإنترنت http://www.startimes.com/?t=٢٦٨١١١٧٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"الكناية" و"الاستعارة" و"التمثيل على حد الاستعارة" وكلُّ ما كان فيه، على الجملةِ، مَجازٌ واتساعٌ وعُدُولٌ باللفظ عن الظاهر، فما مِنْ ضَرْبٍ من هذه الضُّروب إلاَّ وهو إذا وقَعَ على الصواب وعلى ما يَنْبغي، أوْجَبَ الفضْلَ والمزيَّةَ. فإذا قلتَ: "هو كثيرُ رمادِ القدْر"، كان له موقِعٌ وحظٌّ من القَبول لا يكون إذا قلتَ: "هو كثيرُ القِرى والضِّيافة".[1] لكن اهتمام الإمام عبدالقاهر الجرجاني كان منصبا في المقام الأول على العدول في الناحية التركيبية من خلال نظريته الفذة النظم فلم يولي العدول الصرفي كبير اهتمام لأن مدارَ الأمرِ عنده " "النظْم" على مَعاني النحو، وعلى الوجُوهِ والفُروق التي من شأْنها أَنْ تكونَ فيه، فاعلمْ أنَّ الفروقَ والوجوهَ كثيرةٌ ليسَ لها غايةٌ تقفُ عندها، ونهاية لا تجد لهال ازدياداً بَعْدها ثم اعْلَمْ أنْ ليستِ المزيةُ بواجبةٍ لها في أنْفُسِها، ومِنْ حيثُ هي على الإطلاق، ولكنْ تعرضُ بسببِ المعاني والأغراضِ التي يُوضعُ لها الكلامُ، ثم بحَسَبِ موقعِ بعضِها من بعضٍ، واستعمالِ بعضِها معَ بعضٍ."[2]

ومن المفسرين البلاغيين الذين ذكروا قضية العدول عن بعض الأبنية إلى بعض الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ) وقد ربط بين التكنية والعدول فكلاهما يشتمل على عدم المباشرة والتصريح وهذا لعمري ما يميز عملا أدبيا رفيعا غير مباشر عن عمل آخر يحمل أفكاره للمستمعين عبر خطاب مباشر صريح يقول الزمخشري:" في (ربيع الأبرار) قالوا: لم تكن الكُنَى لشيءٍ من الأمم إلا للعرب وهي من مفاخرها والكُنية إعظام وما كان يُؤْهَل لها إلا ذو الشرف من قومهم قالمن البسيط :

(أكْنيه حين أُناديه لأكْرِمَه ... ولا ألقبه والسوءة اللَّقب)

والذي دعاهم إلى التكنية الإجلال عن التصريح بالاسم بالكناية عنه ونظيرهُ العدولُ عن فعلٍ إلى فعل في نحو قوله: {وغِيضَ الماءُ وقُضِي الأمر} .ومعنى كَنَيْتُه بكذا: سمَّيتُه به على قَصْد الإخفاء والتورية ثم ترقَّوْا عن الكُنَى إلى الألقاب الحسنة فقلَّ من المشاهير في الجاهلية والإسلام مَنْ ليس له لقب إلا أن ذلك ليس خاصا بالعرب فلم تزل الألقابُ في الأمم كلِّها من العرب والعجم."[3]

وما أن وصلنا للقرن السابع الهجري حتى وجدنا ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٧هـ) يكشف اللثام عن أسباب العدول الصرفي وخصوصيته داعيا أرباب الفصاحة للبحث عن أسرار العدول عن الأبنية الصرفية

---

[1] دلائل الإعجاز في علم المعاني (١/ ٤٢٩) المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

[2] دلائل الإعجاز تشاكر (١/ ٨٧)

[3] المزهر في علوم اللغة وأنواعها (١/ ٢٧٣)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيقول :"اعلم أيها المتوشّح لمعرفة علم البيان، أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطلع على أسرارهما، وفتش عن دفائنهما، ولا تجد ذلك في كل كلام؛ فإنه من أشكل ضروب علم البيان، وأدقّها فهما، وأغمضها طريقا [1]"ثم يحذو لنا نهجا رائعا في باب الأبنية الدالة على الزمن وما يقتضيه العدول فيها من دلالات وذلك في :".القسم الثالث: في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل، وعن المستقبل بالماضي، فالأول الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي: اعلم أن. الفعل المستقبل إذا أتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذاك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها، وليس كذلك الفعل الماضي، وربما أدخل في هذا الموضع ما ليس منه جعلا بمكانه، فإنه ليس كل فعل مستقبل يعطف على ماض بجار هذا المجرى."[2]

من هذه الإطلالة على الجذور التراثية لظاهرة العدول الصرفي نستخلص عدة نتائج :

أولا :حاز اللغويون العرب القدامى قصب السبق حين فطنوا إلى فكرةالعدول الصرفي ، تجلى ذلك في مصنفاتهم التي مهدت للتأليف المستقل للظاهرة في اللسانيات الحديثة .

ثانيا :بالرغم من غياب المصطلح حينإ ووجوده مع مصطلحات أخرى حينا آخر إلا أننا نجد حقيقته ماثلة وجلية دون لبس سواء في إطار التنظير أو التطبيق على النصوص الأدبية .

ثالثا:قضية العدول الصرفي تم تناولها ضمن اهتمامات لغوية أخرى،أو على نحو مشتجر بضروب الثقافة المختلفة،من غير أن يحمل عنوانا مميزا له استقلاله، ومصنفاته فاللسانيات أو علوم الآلة ما هي إلا أدوات لاستخراج لآلئ علوم المقاصد .

رابعا: أسهم في بيان مظاهر العدول الصرفي وأسبابه وخصائصه لغويون ونحاة وبلاغيون ومفسرون وغيرهم من ثم اختلفت أسماء الظاهرة وكيفية التناول لقد علم كل فريق مشربه فيما أفاض فيه.

خامسا : تباينت مواقف العلماء القدامى من ظاهر العدول الصرفي بين التأويل والتلحين كما فعل كثير منالنحاة لتستقيم لهم القواعد والاعتراف بالعدول واستثماره كما صنع النقاد والأدباء واللغويون .

سادسا : إن العدول الصرفي في بعض الأبنية العربية ليس على درجة واحدة عند علمائنا القدماء فمنه :

---

[1] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تمحيي الدين عبد الحميد (٢/ ١٢) ابنالأثير (المتوفى: ٦٣٧هـ)

[2] السابق (٢/ ١٢)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١- ما هو مقبول داخل إطار النظام الصرفي العربي .

٢- ومنه ما يوسم بالشذوذ أو الضرورة .

٣- وبينهما صيغ وصفت بأنها لغات لهجات أقل .أو أضعف

العدول الصرفي في الدرس اللساني الحديث

من خلال هذا المبحث سنتعرف على رؤية اللسانين الغربيين والعرب المحدثين حول العدول الصرفي وبرغم تناولنا للعدول مفهوما في مباحث سابقة إلا أني آثرت أن أعيد النظر في دراسات البلاغيين الأسلوبيين عند مناقشة كل مفهوم من المفاهيم المتعلقة بالعدول ليكون البحث أكثر استقلالا وتركيزا على مضمون ما نتاوله من مفاهيم، بحيث نقبل على مرحلة التطبيق على شعر الشاعرة بقناعة ووضوح، ولنبدأ باللسانيين الغربين لأن دراساتهم كانت في كثير من الأحيان منطلقا للسانين العرب ومرتكزا ،منها ترجموا وأسسوا واستلهموا، و قد أخذوا في التطبيق على بعض النصوص الأدبية من خلال نظرية الأسلوبية وغيرها .

- أولا : العدول الصرفي عند اللسانين الغربيين :

واجهتنا مشكلة تعدد المصطلح عند البحث عن مفهومه وجذوره في تراثنا العربي فالمشكلة نفسها تجدها لدى البحث لدى اللسانيين الغربيين وهو ما انعكس على الدراسات اللسانية العربية على نحو ما باعتبارها اعتمدت فكرة ترجمة المصطلح والتماهى حوله ، وقد وضع المسدى ثبتا بما يقترب من خمسة عشر مصطلحا وأضاف إليها يوسف وغليسي في مقال بعنوان(مصطلح الانزياح بين ثابت اللغة المعيارية ومتغيرات الكلام الأسلوبي العربي) إلى جهد المسدّي مصطلحات أخرى لم يذكرها المسدي،" وهي تصب في الحقل الدلالي نفسه، ومنها مصطلح(التشويه المتناسق) الذي يقترحه (ميرلوبونتي)، ومصطلح المروق والضلال والاضطراب (وهو مستعمل في سياقات قضائية وبصرية وبيولوجية) والذي أورده (غري ماس) في معجمه، ومصطلح (المجاز) الذي اصطنعه (تودوروف) وديكرو، في معجمهما الموسوعي"[١]

إن أرسطو فيلسوف الحضارة اليونانية الغربية قد ميز بين مستويين للكلام :

أولهما : السوقي التواصلي العادي المتماشي مع قواعد اللغة تماشيا تاما .

[١] مقال بعنوان الانزياح بين أحادية المفهوم وتعدد المصطلح بشبكة المعلومات الإنترنت https://revues.univ-ouargla.dz/index.php/٠٣-٢٠١٢/٢١٤-٢٠١٣-٠٤-٢٨-١٤-٣٢-٤٤.html

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيهما : سامٍ يخرق الاستعمال النمطي المعتاد لتلك القواعد .

يقول أرسطو:" اللغة التي « تنحو نحو الإغراب وتتفادى العبارة الشائعة » هي اللغة الأدبية ويقول :"وجودة العبارة في أن تكون واضحة غير مبتذلة فالعبارة المؤلفة من الأسماء الأصلية هي أوضح العبارات، ولكنها مبتذلة... أما العبارة السامية الخالية من السوقية فهي التي تستخدم ألفاظا غير مألوفة، وأعني بالألفاظ غير المألوفة، الغريب والمستعار والممدود وكل ما بعد عن الاستعمال ويقول :فبتحرير هذه الكلمات عن أوضاعها الأصلية والخروج عن الاستعمال العادي يجتنب السوقية"[١]

ونستطيع التمثيل لهذا المستوى الأدبي الراقي بقصيدة للشاعرة سعاد الصباح بعنوان (حرائق على الثلج) [٢] :

"أيُّها الرجلُ

الذي أخذَ خرائطَ الثلج في جيبِه

و تركني أتزلج على ثلج أحزاني .

أيهّا الرجلُ الذي شربّ كلَّ قهوةِ فرنسا

وتركني أشربُ دموعي .

إنني هنا عاطلةٌ عن الفَرَحْ . .

وعاطلةٌ عن الحبّ . .

وعاطلةٌ عن أنوثتي ."

لقد خرقت الشاعرة سعاد الصباح في هذا المقطع من قصيدتها القواعد اللغوية حين انحرفت بالعبارة عن معناها الحقيقي إلى معنى مجازي وذلك بإضافتها الأحزان للثلج " و تركني أتزلج على ثلج أحزاني ." ويمتنع عقلا التزلج على ثلج الأحزان إن وجد وكذلك الدموع لا تشرب لكنها استعارات وكنايات عن حالة من الحزن العميق والألم الدفين والحيرة الشديدة التي انتابت الشاعرة ، واضحت مشاعرها

[١] الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية أحمد محمد ويس ص٨١

[٢] ديوان خذني إلى حدود الشمس للشاعرة سعاد الصباح دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع الطبعة الأولى تشرين الثاني ١٩٩٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القلبية نازفة وفقدت جراء ذلك كله أحاسيس الفرح والحب بل كل ما يرتبط بالأنوثة لديها .ترى هل كانت اللغة المعيارية قادرة على حمل هذه المعاني فضلا أن تثير لدى السامع أو القارئ أي نوع من الدهشة؟ قطعا لا .

لقد أضحت ظاهرة العدول عن الأصل بفضل الجهود التي بذلها اللسانيون الغربيون أكثر تحديدا وأقدر على تحليل النصوص الأدبية من ذي قبل . وإن كانوا لم يفردوا العدول الصرفي ببحث مستقل وجاء ضمن حديثهم عن الأسلوب بصفة عامة ، إذ كان جل اهتمامهم بالعدول في المستوى التركيبي والدلالي وعلاقته بالبلاغة حيث إنهم اعتبروا هذا العدول خصيصة من خصائص اللغة الأدبية والشعر بصفة خاصة فلم يلتفتوا كثيرا إلى لغة الأجناس الأدبية الأخرى فضلا عما قد يرد من عدول في لغة الحياة اليومية أحيانا فاعتقاد الباحثين الغربين "أن الانزياح خاص بلغة الشعر وهو اعتقاد لا يمكن التسليم به بشكل مطلق ذلك أن هناك انحرافات يمكن أن تظهر في لغة الأجناس الأدبية الأخرى..."[1]

- ثانيا : العدول عند اللسانيين العرب

من أكثر اللسانيين العرب اهتماما بظاهرة العدول عن الأصل د/ تمام حسان ونقف الآن مع أهم كتابين له تعرض فيهما للموضوع بشيء من التفصيل: الكتاب الأول البيان في روائع القرآن: ففي الجزء الأول منه تحدث المؤلف عن مفهوم الصحة والجمال في النص القرآني، والعدول عن الأصل بواسطة الزيادة، والحذف، والتضمين، والتغليب، والمجاز، والترخص في القواعد، والتوسع، وأخذ يستشهد لهذا الجانب الجمالي للأسلوب القرآني كما يسميه في المستوى الصوتي، والمعجمي ، والتركيبي ، والتناص ، والأسلوب، لكن ما يهمنا هو الجانب الصرفي الذي يقول عنه : " ثمة جانب آخر هو الجانب الصرفي الذي يمكن الترخص فيه لأسباب أسلوبية من خلال الصيغ غير القياسية وغير المستعملة فمن ذلك مثلا قوله عز وجل :﴿أَجَعَلَ الآلهة إلها واحدا إن هذا لشئ عجاب ٥﴾[ص:٥] فالصيغة القياسية هي عجيب ولكنها جاءت على صورة عجاب لأحد سببين أو لكليهما :

السبب الأول : رعاية الفاصلة ... .والسبب الثاني :أن صيغة فعال من صيغ الأدواء مثل داء الصداع والزحار فلربما أراد القائلون الإيحاء بأن ما جاء به النبي ﷺ من الأمر بالتوحيد كان مكروها

[1] الانزياح الدلالي في الألفاظ العربية معجم العين نموذجا ص٤٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عند المشركين كراهية الداء "[1]وازدادت الفكرة رسوخا ووضوحا عنده في الجزء الثاني، حيث أفرد الفصل الثالث من هذا الجزء للأسلوب العدولي في القرآن الكريم وأوضح الفرق بينه وبين الترخص. وتطغى على المولف الصبغة النحوية في معالجته لظاهرة العدول واقتصاره على أمثلة معدودة، دون استقصاء شامل لكل الشواهد القرآنية بل يكتفي بأمثلة معدودة[2]

وللدكتور تمام حسان كتاب آخر بعنوان:(الأصول: دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب - النحو- فقه اللغة- البلاغة) ففي فصل الاستصحاب منه حديث مسهب عن الأصل أي أصل الوضع في الحرف والكلمة والجملة وأصل القاعدة ثم حديث العدول عن الأصل والرد إلى الأصل، ،ومع أن المؤلف يتبنى آراء جديدة في النحو العربي وهي تلك التي بثها في كتابه (اللغة العربية: معناها ومبناها)،فإنه في كتاب (الأصول) أراد أن يبين المفاهيم الأصيلة التي كان يتحرك من خلالها النحاة الرواد أمثال الخليل وسيبويه رحمهما الله تعالى في تحليل اللغة وتقعيدها.[3]

أما الدكتور عبدالسلام المسدي فتغلب عليه الصبغة الأسلوبية البلاغية في تناوله لقضية العدول عن الأصل فيقول أن "جل التيارات التي تعتمد الخطاب أساسا تعريفيا للأسلوب تنصب في مقياس تنظيري هو بمثابة العامل المشترك الموحد بينهما، ويتمثل في مفهوم الانزياح **écart** "[4] ومع اعترافه بذلك فإنه لا ينكر صعوبة تصور العدول يقول : " ولئن استقام له (أي للانزياح) أن يكون عنصرا في التفكير الأسلوبي، فلأنه يستمد دلالته لا من الخطاب الأصغر، كالنص والرسالة، وإنما يستمد تصوره من علاقة هذا الخطاب الأصغر بالخطاب الأكبر وهو اللغة التي فيها يسبك ولذلك تعذّر تصوره في ذاته إذ هو من المدلولات الثنائية المقتضية لنقائضها بالضرورة"[5].

ينطلق الدكتور محمد عبد المطلب في معالجته لقضية العدول من التراث العربي ساعة ثمّن جهود القدماء التي كشفت عن العوامل النفسية التي تكتنف عملية التخاطب وتقف وراء العدول فيقول : إن" البلاغيين القدماء تفطنوا إلى أن العدول يتم من خلال عوامل نفسية تكتنف عملية التخاطب :

---

[1] البيان في روائع القرآن ج١ ص٤٣٣
[2] ينظر البيان في روائع القرآن ج٢ ص ٧٧
[3] ينظر الأصول ص١١٤
[4] الأسلوبية والأسلوب ص ٩٧
[5] السابق ص٩٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كتشويق السامع ،أو التفاؤل، أو التلذذ "[1] نلمح مثل هذه العوامل النفسية حاضرة وبقوة في أدب هذا العصر . خذ مثلا قصيدة (السمفونيّـة الرّماديّة) للشاعرة سعاد الصباح. التي تقول فيها :

يا أحبابي :

لا هذا عصرُ الشِّعرِ ، ولا عصرُ الشُّعَراءْ

هل يَنْبُتُ قمحٌ من جَسَدِ الفقراء ؟

هل يَنبُتُ وردٌ من مِشنَقَةٍ ؟

أم هل تَطلَعُ من أحداقِ الموتي

أزهارٌ حمراء ؟

هل تَطلَعُ من تاريخِ القَتْلِ قصيدةُ شعرٍ ؟

هل تخرُجُ من ذاكرةِ المَعدِنِ يوماً قطرةُ ماءْ ؟ . ."[2]

فهذه الأبيات من حيث التركيب النحوي سليمة لكن التساؤلات التي جاءت على لسان الشاعرة اخترقت المثالية اللغوية في المستوى الدلالي وراحت تنتهكها لأسباب نفسية عميقة لا تكاد تخفى على قارئ أو سامع .

ويوضح الدكتور محمد عبدالمطلب الفارق بين النحويين والبلاغيين بقوله "إذا كان النحاة واللغويون قد أقاموا مباحثهم على رعاية الأداء المثالي فإن البلاغيين ساروافي اتجاه آخر حيث أقاموا مباحثهم على أساس انتهاك هذه المثالية والعدول عنها في الأداء الفني .... فإذا كان النحوي يهتم بما يفيد أصل المعنى فإن البلاغي يبدأ منطقة حركته فيما يلي هذه الإفادة من عناصر جمالية "[3]وجاءت المقاربة التطبيقية لموضوع العدول عند الدكتور محمد عبدالمطلب من خلال عدة نقاط هي : (التقديم والتأخير – الإيجاز والأطناب – الالتفات).

[1] البلاغة والأسلوبية محمد عبد المطلب ص٢٧٢
[2] ديوان خذني إلى حدود الشمس سعاد الصباح
[3] البلاغةوالأسلوبيةمحمدعبدالمطلبص٢٧٢

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحين نتأمل إسهامات الدكتور صلاح فضل في قضية العدول نجده متحفظا شيئا ما على اعتبار علم الانحرافات هو علم الأسلوب يقول :" بالرغم من أن الباحث اليوم قد يتردد في موازنة الأسلوب بالانحراف واعتبار علمه هو علم الانحرافات إلا أنه من الواضح أننا لا نستطيع أن نقوم الحصافة اللغوية ولا المهارة الإبداعية لمؤلف ما إلا إذا وضعناه في إطار يشمل القاعدة العريضة للاستخدام اللغوي المعاصر له "[١] ثم يسير مع بعض الباحثين نحو تصنيف الانحرافات في خمسة نماذج أساسية طبقا للمعايير التي يعتد بها في تحديد الانحراف وهي :

١- درجة انتشارها في النص كظواهر محلية أو موضعية شاملة .

٢- تصنيفالانحرافات طبقا لعلاقتها بنظام القواعد اللغوية .

٣- تصنيف الانحرافات بالنظر إلى علاقة القاعدة بالنص المزمع تحليله .

٤- تصنيف الانحرافات بالنظر إلى المستوى اللغوي الذي تعتمد عليه .

٥- تصنيف الانحرافات طبقا لتأثيرها على مبادئ الاختيار والتركيب ."[٢]

وهكذا جاءت رؤية اللسانين الغربيين والعرب المحدثين حول العدول تعتد به اعتدادا كبيرا وتوليه اهتماما منقطع النظير كأداة لتحليل النصوص الأدبية وتمييز ما بها من أوجه الإبداع ولذا كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأسلوبية والأسلوب وكانت " جسرا بين الأدب وعلم اللغة والنقد الأدبي والبلاغة."[٣] واتضح كم هو البون واسعا بينهم في تحديد معايير العدول وكانت الشقة أبعد حول تحديد اسم واحد للعدول ورأينا من خلال العرض السابق أن اهتمام اللسانيين المحدثين كان منصبا حول العدول في المستوى البلاغي والتركيبي وغضوا الطرف كثيرا عن المستوى الصرفي ولم يتناولوا الصيغ النادرة الاستعمال أو الشاذة أو التي جاءت على خلاف الأصل ولو توقفوا معها لأفادوا بها كثيرا في وضع معايير واضحة للعدول ولظهرت جماليات النصوص الأدبية لهم جلية .

وسنحاول ــ بمشيئة الله سبحانه وتعالى ـ الاستفادة من تلك المقررات اللسانية في الفصول التطبيقية القادمة . محاولين التعرف على أنواع العدول الصرفي ودلالاته عبر تحليل المنجز الشعري للمبدعة سعاد الصباح .

---

[١] الأسلوب صلاح فضل ص ٢٠٨

[٢] السابق ٢٠٩

[٣] مقال بشبكة الإنترنت بعنوان في العدول في النصّ القرآني في ضوء الدرس اللساني الحديث موقع : http://www.startimes.com/?t=٢٦٨١١١٧٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث : العدول عن الأصل عند الشاعرة سعاد الصباح

ألفت الشاعرة سعاد الصباح الخروج على القاعدة اللغوية والميل دوما للأسلوب العدولي فلن نجافى الحقيقة إذا ما قلنا إن قصائد سعاد الصباحما هي إلا انحراف عن المعنى الحقيقي في الأغلب الأعم ولجوء للأسلوب العدولي بشكل منقطع النظير لجذب الانتباه وإثارة الدهشة وتضمين الكلمات إيحاءات أدبية ونفسية ثرية، لذا صار من العسير تتبع العدول عن الأصل في قصائدها كلها واستقصائها جميعا، وإلا فنحن بصدد سرد لكل دواوينها الشعرية فلنحاول إثبات هذه الحقيقة من خلال نماذج من قصائد شاعرتنا قدر المستطاع وسياتي تناولنا لهذه النماذج على النحو الآتي :

أولا: نص الأبيات التي بها عدول عن الأصل .

ثانيا :تحديد الأسلوب العدولي وإبراز طاقاته الجمالية .

ثالثا: تخيل لأبيات القصيدة بأسلوب نمطي معتاد .

رابعا :الاقتصار على العدول غير التقليدي لدراسته.

- النموذج الأول :من قصيدة الشعر والنثر لك وحدك:

أُحَاوِلُ أَنْ أَتَعَلَّقَ بِعَرَبَةِ الفَرَحِ

فَيَضْرِبُنِي السَّائِقُ عَلَى أَصَابِعِي..

وَأُحَاوِلُ أَنْ أَتَعَلَّقَ بِحِبَالِ الكَلِمَاتِ..

فَتَفْلِتُ مِنْ يَدَيَّ..

وَأُحَاوِلُ أَنْ أَسْتَعِيدَ زَمَنَكَ الجَمِيلَ،

المُطَرَّزَ بِالشَّمْسِ وَالصَّحْوِ فَيُهَاجِمُنِي المَطَرُ..

وَتَضْرِبُنِي العَاصِفَةُ.

هَذِهِ كَلِمَاتُ القَلَقِ.. وَالتَّوَتُّرِ.. وَالزَّمَنِ الحَزِينِ..

فَأَرْجُو أَنْ تُحِبَّ حُزْنِي.[١]

[١] من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة الشعر والنثرلك وحدك موقع http://souadalsabah.blogspot.com.eg/٢٠١٢/٠٤/blog-post_٢٥.html

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تتجاوز الشاعرة قواعد اللغة ودلالتها المعجمية المتعارف عليها بين أبنائها إلى دلالات إيحائية فتستعير للكلمات حبال وتجعل من الزمن الجميل شخصا قابلا للتحلي بالقلائد فإذا به يلبس عقدا مطرزا باستعارة أخرى ألا وهي الشمس وإذا بنا أمام استعارة ثالثة ورابعة مكونة من تجسيد العواصف والأمطار في أشخاص معادين يهاجمون الشاعرة التي تتشبث بذكريات الزمن الجميل فتنهار قوتها وهي تنشد من يحب حزنها هَذِهِ كَلِمَاتُ القَلَقِ.. وَالتَّوَتُّرِ.. وَالزَّمَنِ الحَزِينِ..فَأَرْجُو أَنْ تُحِبَّ حُزْنِي. وهيهات من يحب الحزن يا سيدتي :

وَلِي كَبِـدٌ مَقرُوحَةٌ مَن يَبيعُني بها كَبِداً لَيسَت بِذَاتِ قُروحِ

أَبَى النَّاسُ وَيخ النَّاسِ ما يَشتَرُونَهَا وَمَن يَشتَرِى ذَا عِلَّة بِصَحيحِ"[1]

ولنتصور هذه المعاني لو صيغت بالأسلوب التقليدي كان سيقال الكلمات تضيع من فمي وأحاول تذكر أيامك الجميلة فتغلبني الهموم والأحزان ترى أي دهشة يثيرها هذا التعبير وأي مسحة جمالية فيه وأي معان نفسية يطبع بها المتلقي لها؟ !!

- النموذج الثاني : من قصيدة الشِّعْرُ وَالنَّثْرُ.. لَكَ وَحْدَكَ

يَا مَرْفَئِيَ الَّذِي أَظَلُّ بِانْتِظَارِهِ

أُعَلِّقُكَ، كَحَلَقِ الزُّمُرُّدِ، فِي أُذُنِي

وَأَدْخُلُ بِكَ شَوَارِعَ لَنْدَنَ المُزْدَحِمَةَ

أُخَبِّئُكَ كَالثَّوْبِ الجَدِيدِ

فِي كِيسِ مُشْتَرَيَاتِي

أَلْبَسُكَ كَإِسْوَارَةِ الذَّهَبِ فِي مِعْصَمِي[2]

تعبر الشاعرة في هذه الأبيات عن زوجها الحبيب بـ(المرفأ – حلق الزمرد – الثوب الجديد – أسورة الذهب) وهي استعارات وتشبيهات غير تقليدية متشبعة بروح العصر يتحول فيها الزوج الحبيب إلى شاطئ

[1] الموسوعة الشعرية قصائد الشاعر ابن الدمينة

[2] من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة الشعر والنثر لك وحدك موقع http://souadalsabah.blogspot.com.eg/٢٠١٢/٠٤/blog-post_٢٥.html

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأمان الذي طال انتظاره من مسافر غريب أو غريق يرجو النجاة وتتباهى بحبها لزوجها غير عابئة بعرف أو تقليد قد يمنعها من التعبير عن مشاعرها ومرة ثانية تحول الزوج لحلق زمرد تتجمل به شاعرتنا في شَوَارِعَ لَنْدَنَ المُزْدَحِمَةَ لكن ما تلبث أن تخشى على زوجها الحبيب غائلة الحسد أو يسرقه غيرها منها فتخبئه كالثوب الجديد في كِيسِ المُشْتَرَيَاتِ أو تمسك به في معصمها كأسورة الذهب لقد عدلت سعاد الصباح بهذه الكلمات (المرفأ – حلق الزمرد – الثوب الجديد – أسورة الذهب) عن أصل معناها الذي وضعت له واستعملته هذا الاستعمال الجديد .

- النموذج الثالث : من قصيدة حرائق على الثلج:

والمتزحلقون على الجليد

يتزحلقون على أسلاك أعصابي .

"مجيف " ترفض أن تستقبلني

وترفض أن تكلمني . .

وترفض أن تعترف بشرعيتي

إلا وأنا متعلقة بذراعك اليسرى .

أيها الرجل

الذي أخذ خرائط الثلج في جيبه

وتركني أتزلج على ثلج أحزاني .

أيها الرجل الذي شرب كل قهوة فرنسا

وتركني أشرب دموعي .

إنني هنا عاطلة عن الفرح

وعاطلة عن الحب ..

وعاطلة عن أنوثتي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شوراع " مجيف" مضرجة برائحة صوتك

وآثار أقدامك على الثلج . .

محفورة على جدران الذاكرة . .

السّاعة تَدقُّ

وأجراس أحزاني تدُق معها

والثلج يحرقني بنارِهْ . .

وأنت تمرُّ في شراييني .

شرياناً ... شرياناً

شبْراً ... شبْراً

وأنا مدجّجة بالعشقِ حتى أسناني .

فيها أيّها المختبئ في أهدابِ غمامهْ

فلتهمرْ روعةَ أمطاركْ .

فأيّامي تتشقَّقُ عَطَشاً . .

في الرابعة

أشتعلُ فوق ثلج " مِجيفْ "

وأصرَخُ حتى ينغرسَ صوتي بصوتِكْ

وتنغرسَ جذوري في ترابِكْ . .

وأصبحَ جزءاً من دورتكَ الدمويَّة . .

هذه الذَاكرةُ التي تحتلُّها احتلالاً قَسْريّاً

أيُّها الجالسُ مَلِكاً فوقَ عرشِ ذاكرتي

لماذا تزرعُ الألغام في ذاكرتي ؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والحرائقَ تحت مخدّتي ؟

أشربُ صبري مثلَ النَّخْلِ

أهربُ من رائحةِ صوتِك

وأني تزوّجتُ فَصْلَ الشتاءِ[1]

ربما بدا الاستشهاد فى هذا النموئج طويلا بعض الشئ ولكنه ضرورة إذ تروى الشاعرة فى السطور جميعا أبعاد تجربة شعورية متكاملة لم يحسن بنا تفكيكها . تشكو الشاعرة في هذه القصيدة من برودة المشاعر وافتقادها للدفء العاطفي ومعاناتها من القهر وتسلط المحبوب وفي سبيل بيان كل هذه المعاني ضمت الشاعرة سعاد الصباح في هذه القصيدة مع العدول عن المعاني المعيارية المعجمية للكلمات عبر الاستعارات والتشبيهات أسلوب المفارقة فنجدها في الأسلوب العدولي تجعل للأعصاب أسلاكا (والمتزحلقون على الجليد ...يتزحلقون على أسلاك أعصابي) وتخلع على مدينة مجيف من صفات الإنسان الإرادة فـ(-"مجيف " ترفض أن تستقبلني) لقد تحولت المدينة لشخص يرفض أو يقبل بل تصدم الشاعرة ولا تقبلها من دون محبوبها وهل أتاك قارئي العزيز نبأ امرأة شيدت من أحزانها ثلجا تتزلج عليه ؟(وتركني أتزلج على ثلج أحزاني) إنها مرارة فقدان الحبيب الذي كان يشاركها هذه الرياضة فلا تحس ببرودة الجو والثلج المتساقط مع حرارة المشاعر العاطفية وأين تذهب منك شاعرتنا أيها المحبوب وأنت (محفور على جدران الذاكرة) وليس للذاكرة جدران يحفر عليها لكنها استعارة لبيان قوة تذكر الشاعرة لهذه الأيام التي لا تمحى من مخيلتها ولنتصور هذه المبالغة فالمحبوب نفسه منقوش بل محفور علي جدران الذاكرة وتنتقل سعاد الصباح من الصور البصرية إلى النغم الصوتي فالموسيقي التصويرية لهذه المشاهد أجراس أحزان تدق كلما دقت عقارب الساعة(و أجراس أحزاني تدُق معها) وتناشد الشاعرة محبوبها أن يروي ظمئها فقلبها صار كالأرض التي ضربها جفاف المشاعر فتشققت لذا تتوسل إليه قائلة (فلتهمرْ روعةَ أمطارك ....فأيّامي تتشقَّقُ عَطَشاً) تناشده كي ينبت حبهما من جديد وتتشابك حياتهما كشجرة أغصانها في السماء عالية وتضرب بجذورها في أعماق التربة هذه الصورة قد تروق لنا وتبدو منطقية لحد ما لكن الجدة كل الجدة والعدول الدلالي يبلغ قمته في قولها :

[1] من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة حرائق على الثلج موقع -http://souadalsabah.blogspot.com.eg/٢٠١٢/٠٤/blog post_٢٥.html

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأصرَخُ حتى ينغرسَ صوتي بصوتِكْ

.وتنغرسَ جذوري في ترابِكْ

وأصبحَ جزءاً من دورتكَ الدمويَّة .

وعود جديد للذاكرة فنراها هنا قد تحولت لأرض تحتل وتزرع فيها الألغام أو عرشا يجلس فوقه :

هذه الذَاكرةُ التي تحتلُّها احتلالاً قَسْريّاً

أيُّها الجالسُ مَلِكاً فوقَ عرشِ ذاكرتي .

.لماذا تزرعُ الألغام في ذاكرتي ؟

والحرائقَ تحت مخدّتي ؟

وتتكرر هذه الأساليب نفسها في الحديث عن الذاكرة وإن بشكل آخر فتقول في قصيدة السمكةُ تعود إلى بحرِها: (ها أنذا أكسرُ جدران ذاكرتي) وتقول: مُشكِلتي معك ، لا عَلاقة لها بِقلبي

بل بذاكرتي . .

هذه الذَاكرةُ التي تحتلُّها احتلالاً قَسْريّاً

منذ مئةِ عامْ

و لكنَّكَ . . كَكُلِّ ذكور القَبيلَة . . .

بقيتَ مصِرَّاً على الاحتفَاظِ بِممتلَكاتِكْ . .

التي لا تغِيبُ عَنها الشّمس . .

و بَقيتَ رافِعاً أعلامكَ الحمْراء

فوقَ أسوارِ ذاكرتي . . .

أيُّها الجالسُ مَلِكاً فوقَ عرشِ ذاكرتي

فلماذا ، يا أيُّها الرجلُ الأبيَض

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تواصل احتلال ذاكِرتي ؟

لماذا تزرعُ الألغام في ذاكرتي ؟١

إنها تساؤلات (شاعرة الأسئلة) كما يصفها النقاد٢ لها إجابة واحدة حيث اكتشفت شاعرتنا أنها عشقت وتزوجت فَصْلَ الشتاءِ بعواصفه العاتية وثلجه الأبيض وبرودته القارسة وتقلباته الكثيرة .والتزوج من فصل الشتاء عدول عن الاستعمال العادي للغة إلى اللغة الأدبية

وضمت الشاعرة سعاد الصباح مع مضى كله أسلوبا أدبيا آخر هو المفارقة نجد ذلك ماثلا في تعبيرات (برائحة صوتك - و الثلج يحرقني بنارِه - و أنا مدجّجة بالعشقِ حتى أسناني .- أهربُ من رائحةِ صوتِك ..) ولها قصيدة بعنوان رائحة الصوت تقول فيها (أهربُ من رائحةِ صوتِك . إلى غرفتي .) وتصف الصوت بالبلور في قصيدة (آخر السيوف) فتقول (في الليل أسمع صوتك البلورا)وقصيدة ثالثة بعنوان : (صوتُك بيتي . . .) من أبياتها :

أتغطّى بشراشفِ صوتِك القمَريّ

كما تحتضنُ طفلةٌ لُعبتَها

في ليلةِ العيد . . صوتُكَ شالٌ منَ الصّوف . .

ألبسُه في ليالي البردِ و الصّقيعْ

صوتُكَ مظلّةٌ . . و غمامةٌ . . . وديوانُ شعر . . .

صَوتُكَ كَتِف . . .

صوتُكَ بيتي . . .٣

١من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة رجل في الذاكرة موقع
http://souadalsabah.blogspot.com.eg/search?q=%D٨%B٠%D٨%A٧%D٩%٨٣%D٨%B١%D٨%AA%D٩%٨A

٢ (أسئلة الشمس)،كتاب صدر حديثا للكاتب علي المسعود يحوي عددا من الدراسات الأدبية التي تتناول تجربة د.سعاد الصباح الشعرية خاصة والأدبية بشكل عام

٣ من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة صوتك بيتي موقع http://souadalsabah.blogspot.com.eg/٢٠١٢/٠٤/blog-post_٢٥.html

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالصوت يحتل عند سعاد الصباح مساحة شعرية كبيرة فتستعير له مرة رائحة وتنعته أخرى بأنه قمرى وشالٌ منَ الصّوف ومظلّةٌ و غمامةٌ وديوانُ شعر و كَتِف وبيت. ولا يخفى علينا أن كل تلك النعوت مجازية فيها عدول عن الأصل اللغوي الذي وضعت له.

- النموذج الرابع : من قصيدة ليلة القبض على فاطمة:

هذي بلاد تختن القصيدة الأنثى ...

وتشنق الشمس لدى طلوعها

حفظاً لأمن العائلة

وتذبح المرأة إن تكلمت ...

أو فكّرت ...

أو كتبتْ ...

أو عشقتْ ...

غسلاً لعار العائلة ...[1]

تتخلى الشاعرة سعاد الصباح في البيتين الأولين عن الدلالات الأصلية للكلمات وتؤثر لغة شعرية بحتة لتظهر مدى ما تتعرض له المرأة الشرقية من ظلم فادح في المجتمع ، والحياة على وجه العموم فتستعمل الفعل ختن مع القصيدة الأنثى وليس هناك قصيدة ذكر وأخرى أنثى حتي تختن من الأساس فالقصيدة الأنثى هي مجرد رمزية للمرأة العربية عند الشاعرة سعاد الصباح وكذا الشمس ومن هذا الذي يستطيع أن يشنق الشمس عند طلوعها وبذلك تكون شاعرتنا قد عدلت عن اللغة المعيارية المألوفة إلى اللغة الأدبية المجازية حتى توقظ المشاعر المخدرة والضمائر الميتة وتجذب الانتباه للجريمة النكراء التي ترتكب بحق المرأة العربية ،و الكويتية بصفة خاصة .

- النموذج الخامس : من قصيدة السمكةُ تعود إلى بحرِها :

بيروت كحّلتني

---

١ من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة ليلة القبض على فاطمة موقع
http://souadalsabah.blogspot.com.eg/٢٠١٢/٠٤/blog-post_٢٥.html

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعطّرتني

وجمّلتني

وألبستني سواراً من الذهب . . .

لم أخلعْهُ من معصمي . . .

. بيروت أعطتني مفاتيح الشِّعر . . .

و قنديل الثّقافة . . .

ولا يزالُ القنديلُ يتوهّجُ في غرفتي . . .

منذُ أكثر من ثلاثين عاماً . .

وأنجبتُ أحلى قصائدي (مبارك)

علّمني بيتُنا في (اليرزة)

كيف أصادقُ الشجر

وكيف أغتسلُ بموسيقى المطر

وكيف أتذوّقُ سمفونيّةَ الصراصير الليليّة . . .١

مرة أخرى تعدل الشاعرة سعاد الصباح عن الحقيقة للمجاز فشبهت بيروت بإنسان ثم حذفت المشبه به وأتت بشيء من لوازمه وهو (كحّلتني – عطّرتني – جمّلتني - ألبستني سواراً من الذهب) وهذه الأفعال من خصائص الإنسان وحين تفتحت قريحة الشاعرة في بيروت واستوى عودها الثقافي هناك امتلكت بذلك مفاتيح الشعر وقناديل الثقافة وهذه الاستعارات ترمز إلى الانفتاح القلبي والتنوير العقلي (مفاتيح الشِّعر - قنديل الثّقافة - القنديلُ يتوهّجُ)وتشير دلالات لفظ (مبارك) إلى فلذة كبدها الذي رزقته في بيروت وإلى قصائدها التي أنشدتها فيه وإلى زوجها الشيخ عبدالله المبارك الصباح ويختم هذا المقطع بإسناد التعليم للبيت (علّمني بيتُنا في البرزة) ثم استعارت الصداقة للشجر، والاغتسال لموسيقى المطر، والتذوق لسمفونية الصراصير الليلية، وهذه الصفات كلها من خصائص الإنسان وليست للشجر أو

١من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة السمكةُتعودإلىبحرِها موقع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لموسيقى المطر أو لأصوات الصراصير، وهذا عدول عن اللغة التقليدية المعيارية إلى اللغة الأدبية بإيحائيتها ومجازتها لإثارة ذهن المتلقي والقدرة على التعبير عما يجيش في صدر الشاعرة من معان.

- النموذج السادس : من قصيدة السمفونيّة الرّماديّة :

كيف بوُسعي

أن أتجاهلَ هذا الوطَنَ الواقعَ في أنياب الرُّعبْ ؟

يا أحبابي :

لا هذا عصرُ الشِّعرِ ، ولا عصرُ الشُّعَراءْ

هل يَنْبُتُ قمحٌ من جَسَدِ الفقراء ؟

هل يَنبُتُ وردٌ من مِشنَقَةٍ ؟

أم هل تَطلَعُ من أحداقِ الموتي

أزهارٌ حمراء ؟

هل تَطلَعُ من تاريخِ القَتْلِ قصيدةُ شعرٍ ؟

هل تخرُجُ من ذاكرةِ المَعدِنِ يوماً قطرةُ ماءْ ؟[1]

لقد وقع الوطن الحبيب في قبضة الجهل والجهلاء والعنف والمتطرفين فهل يسع شاعرتنا تجاهلَ هذا الوطَنَ الواقعَ في أنياب الرُّعبْ والوطن ليس لقمة سائغة يلتهمها حيوان ابتداء وليس الرعب هو ذاك الحيوان المفترس انتهاء إنما هي صورة بيانية مجازية تذكرنا بقول امرئ القيس :

أَيَقتُلُني وَالمَشرَفِيُّ مُضاجِعي وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ[2]

إن شاعرة الأسئلة تعود من جديد لهوايتها المفضلة بطرح تساؤلات لإبراز الإفلاس الرُّوحيَّ والجَدْبْ الثقافي الذي وصلنا إليه في أوطاننا العربية المنكوبة من ثم تتساءل(هل يَنْبُتُ قمحٌ من جَسَدِ الفقراء ؟) إن إسناد الإنبات للقمح طبيعي ويسير على قواعد اللغة الأصلية لكن من غير المنطقي والطبيعي واللغوي

[1] من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة السمفونيّة الرّماديّة

[2] ديوان امرئ القيس الموسوعة الشعرية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن تتحول الأجساد سواء كانت للفقراء أو الأغنياء إلى مزارع تنبت قمحا، إنها صورة بلاغية رائعة لتصوير عقم الحياة الفكرية والأدبية في بلادنا العربية التي من المستحيل أن تقدر مبدعا أو إبداعا حقيقيا فكما يستحيل أن ينبت الورد من مشنقة أو يطلع الزهر الأحمر من أحداق الموتى أو تنبع من ذاكرةِ المَعدِنِ يوماً قطرةُ ماءْ فيستحيل كذلك أن تَطلَعُ من تاريخِ القَتْلِ قصيدةُ شعرٍ ؟

- النموذج السابع : من قصيدة بيروت كانت وردةً و أصبحت قضيهْ:

آتي من الكويتِ ..

كي أشكرَ الحرفَ الذي ثقَّفني ..

وأشكرَ البحرَ

الذي :

إلى حدود الشمْسِ قد أطْلَقَني . . .،

آتي إلى الجَنوبِ

حيثُ الأرضُ تُنبِتُ الليمونَ ، و الزيتونَ ،

والأبطالْ

وتُنْبِتُ العزّةَ . . و النَّخْوةَ . . و الرِّجالْ . . .

تلكَ سِمْفُونيّةُ الأرضِ العظيمَهْ

تَتَوالى . .

تَتَوالى . .

مثلَ ضَرْبَاتِ القَدَرْ

أغلَقَتْ بالشَّمْعِ أوكارَ السياسَهْ

ودكاكينَ الخَدَرْ

ذَبَحَتْ كلَّ البَقَرْ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فاستقيلُوا يا كبارَ الشُّعرأءْ

ليس للشِّعْرِ إلا أميراً واحداً يُدْعى الحَجَرْ

تلكَ سِمْفونيّةُ الأرضِ المجيدَه

تتَوالى . . تَتَوالى

مثلَ إيقاعِ النواقيسِ ،

ومُوسيقى القصيدَهْ

تَحمِلُ البَرْقَ إلينَا . . و المَطَرْ

إنَّ إسرَائيلَ بيتٌ من زُجَاجٍ . .

وانْكَسَرْ . .

ها هيَ الأخبارُ تأتي كالفَرَاشات إليْنَا

خَبَراً ... بعدَ خَبَرْ . .

حَجَراً . . بَعدَ حَجَرْ . .

ها هُمُ أولادُنَا

يَضَعُونَ الشَّمْس في أكياسِهِمْ

يُبْدِعونَ الزَّمَن الآتي . . يَصِيدُونَ الرُّعُوْدْ

ويثُورُون على ميراثِ عادٍ ، و ثَمُودْ

هَا هُمْ أكبادُنا . .

يَقْتُلُونَ الزَّمَنَ العبريَّ . .

رائعٌ أن تَنْطُقَ الأرْضُ

وأن يمشي الشَّجَرْ

ها هُمْ يَنْمُونَ كالأعشابِ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في قَلبِ الشَّوارعْ

ففتاةٌ مثلُ نَعنَاع البَرَاري

وفتىً مثلُ القَمَرْ

ها هُمْ يمشُونَ للموتِ صُفوفاً

كعصافير المَزارعْ

ويَعُودونَ إلى خَيْمَتِهم دُونَ أصابعْ. ١

هذه ملحمة شعرية تعلي فيها سعاد الصباح من شأن المقاومة اللبنانية والفلسطينية بعد أن تشكر لبيروت أمرين :

أولهما : صنيعها الثقافي.

ثانيهما: يدها البيضاء التي أطلقت روحها من عنان القيد وأسر الجسم إلى حدود الشمس رفرافة في فضاء الخيال الأدبي.

من ثم تأتي شاعرتنا من الكويت خصيصا كي تشكرَ(الحرفَ الذي ثقَّفني .و البحرَ الذي إلى حدود الشمْسِ قد أطْلَقَني)ثم ما تلبث الشاعرة الثائرة أن تصعد إلى الجنوب حيث الجهاد والمقاومة وهنا نفاجأ بأن أرض الجنوب لا تنبت الليمون والزيتون فقط بل تنبت (الأبطالْ و تُنْبِتُ العزّةَ .و النَّخْوةَ .و الرِّجالْ) ابتعاد الشاعرة عن اللغة العادية ولجؤها إلى المجازية هنا يثير لدى المتلقي الدهشة والإعجاب لقد تحولت الأرض إلى فريق موسيقي يعزف للأمة أعزب ألحان الجهاد والعزة (تلكَ سِمْفُونيّةُ الأرضِ العظيمة) والعدول هنا يتمثل في إعطاء الأرض صفة إنسان يعزف لحن البندقية التي(تَتَوالى تَتَوالى مثلَ ضَرْبَاتِ القَدَرْ) وتحمل شاعرتنا على دَهاقِنَةُ السِّياسَةِ حملة شديدة لا تبقي ولا تذر وتنعتهم بالبقر وأن أحزابهم السياسية كأوكار المخدرات تنشر الأفكار المسمومة وتسلب القوة من الأجساد العفية والعقول الذكية لترضى بالدنية فتحمد الشاعرة للمقاومة ضرباتها التي (أغلَقَتْ بالشَّمْعِ أوكارَ السياسة و دكاكينَ الخَدَرْ ذَبَحَتْ كلَّ البَقَرْ) .

١ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة بيروت كانت وردةً وأصبحت قضيهْ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتجعل الشاعرة من الحجر إنسانا فصيح البيان على حد قول أبي تمام :

السَيفُ أَصدَقُ أَنباءً مِنَ الكُتُبِ في حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللَعِبِ

بيضُ الصَفائِحِ لا سودُ الصَحائِفِ في مُتونِهِنَّ جَلاءُ الشَكِّ وَالرِيَبِ[1]

(فاستقيلُوا يا كبارَ الشعراء ليس للشِّعْرِ إلا أميراً واحداً يُدْعى الحَجَرْ)وتشبه الشاعرة(إسرَائيلَ بيتٌ من زُجَاجٍ وانْكَسَرْ) ولسعادتها بأخبار الانتفاضة تشبهها بالفراشات تقول:(ها هيَ الأخبارُ تأتي كالفَرَاشات إليْنَا خَبَراً . بعدَ خَبَرْ . حَجَراً . بَعدَ حَجَرْ) ويستحيل عقلا أن توضع الشمس في كيس وتلك قرينة أن المقصود الحجارة (ها هُمُ أولادُنَا يَضَعُونَ الشمس في أكياسِهِمْ يُبْدِعونَ الزَّمَن الآتي . . يَصِيدُونَ الرُّعُوْدْ و يثُورُون على ميراثِ عادٍ ، و ثَمُودْ) وتعتبر الشاعرة أطفال الحجارة لسان الأرض العربية الذي ينطق وشجره الذي يمشي وأعشابه التي تنمو (رائعٌ أن تَنْطُقَ الأرْضُ و أن يمشي الشَّجَرْ ها هُمْ يَنْمُونَ كالأعشابِ في قَلبِ الشَّوارعْ و لقد يَظهرُ فيما بَيْنَهُمْ وَجْه عليٍّ . . أو عُمَرْ .)

- النموذج الثامن : من قصيدة آخر السيوف :

يا أيّها النسر المضرج بالأسى كم كنت في الزمن الردئ صبورا

كسرتك أنباء الكويت، ومن رأى جبلا، بكل شموخه، مقهورا

شربت خيولك دمعَها وصهيلها كيف الخيول تموت؟ لا تفسيرا

ما عاد بحرك أزرقا، يا سيدي فكأنما صار النهار ضريرا

غدروا بهارون الرشيد وأحرقوا كتب التراث وأعدموا المنصورا

يتفتت التاريخ بين أصابعي وأشاهد الوطن الجميل كسيرا

ذبحوا الطموح الوحدوي من الذي يرضى بأن يتزوج الساطورا

يا خيمتي وسط الرياح، من الذي سيلمّ بعدك دمعي المنثورا

يامن ذهبتَ وما ذهبتَ، كأنني في الليل أسمع صوتك البلورا

من ذا يغطينيا بريش حنانه من يملأ البيت الكبير حضورا

[1] ديوان أبي تمام الموسوعة الشعرية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنت السفينة والمظلة والهوى يامن غزلت لي الحنان جسورا

غطيتني بالدفء منذ طفولتي وفرشت دربي أنجما وحريرا

البحر أنت يفيض عن شطآنه قدر الكبير بأن يظلّ كبيرا

يا آخذ الكلمات تحت ردائه ما عدت بعدك أحسن التعبيرا [1]

شعر الرثاء يمتاز بصدق العاطفة أكثر من أي لون آخر وهذه القصيدة التي بين أيدينا تهديها الشاعرة لروح زوجها ، ورفيقها ، ومعلّمها عبد الله مبارك " بهذه الأبيات البديعة ، التي تقطر دماً افتتحت قصيدتها اليتيمة في المجموعة ، لقد شربت خيوله ، دمعها ، وصهيلها ، وتسأل كيف تموت الخيول ..؟! لا تفسير لذلك أبداً .. ، حتى البحر ما عاد لونه أزرق ، كأنما صار النهار ضريراً ، تعود بذاكرتها للماضي ، كيف غدروا من قبل بهارون الرشيد ، وأحرقوا كتب التراث ، وأعدموا المنصور ..؟!هل التاريخ يُعيد نفسه ، ولكن بأيدٍ عربية ..؟! لقد هتكوا الستور ، وكشفوا الأعراض ،"[2]

لقد عدلت الشاعرة عن وصف زوجها بأنه يترفع عن الدنايا ويصبر على الأذى وفضلت التعبير المجازي (النسر المضرج بالأسى) ليفي بهذه المعاني ويزيد عليها التحليق عاليا فوق كل المغريات والشموخ المضرج بالأسى على حال قومه المزرية ولتصوير وقع أخبار احتلال الكويت على زوجها تقول : (كسرتك أنباء الكويت) فإسناد الكسر لأنباء الكويت تعبير عدولي مجازي تستعير فيه الشاعرة صفة الكسر من الإنسان للأنباء والخيول لا تشرب الدمع فضلا عن الصهيل الذي هو صوت .

(شربت خيولك دمعَها وصهيلها كيف الخيول تموت؟ لا تفسيرا)

وتمنح للنهار عينين فقد الإبصار بهما لما فقد المبارك رحمه الله: (فكأنما صار النهار ضريرا) والتاريخ ليس حلوى تفتت لكن لما هجم المغول الجدد وغدروا بهارون الرشيد وأحرقوا كتب التراث وأعدموا أبا جعفر المنصور صار التاريخ يتفتّت بين أصابع شاعرتنا ، كم هو هشٌ هذا التاريخ تحت أقدام عتاة البشر الغزاة ونفس كسيرة آلمها ظلم ذوي القربى:

وَظُلمُ ذَوي القُربى أَشَدُّ مَضاضَةً عَلى المَرءِ مِن وَقعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ [3]

---

[1] ديوان " آخرالسيوف قصيدة آخرالسيوف موقع http://souadalsabah.blogspot.com.eg/٢٠١٢/٠٤/blog-post_٤١٧٥.html

[2] مقال بعنوان "الشاعرة سعاد الصباح جدلت بضفائر شِعرها شمس الحرية ..! بقلم : محمد الزين والسلوم موقع http://souadalsabah.blogspot.com.eg/search?q=

[3] ديوان طرفة بن العبد الموسوعة الشعرية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في هذه الحال (يتفتت التاريخ بين أصابعي) لقد ذبح دعاة الوحدة العربية (الطموح الوحدوي)وقطعا الطموح لا يتثنى ذبحه فهو شيء معنوي لكن شاعرتنا استعارت له الذبح من الأمور المادية ومن ثم صار من المستحيل أن يرضى عاقل بأن يتزوج الساطورا) الساطور رمز للدكتاتورية العربية المتسلطة على شعوبها .

ومن البيئة العربية البدوية تستعير الشاعرة لزوجها الحبيب كلمة الخيمة التي تمثل لها السكن والأمان والارتواء العاطفي :

يا خيمتي وسط الرياح، من الذي سيلمّ بعدك دمعي المنثورا

من ذا يغطينيا بريش حنانه من يملأ البيت الكبير حضورا

وهاهي الشاعرة تجسد من الحنان خيوطا تغزل من قبل فقيدها الراحل المبارك (يامن غزلت لي الحنان جسورا) وتجعل من الدفء غطاء ولأنجم والحرير فرشا (غطيتني بالدفء منذ طفولتي وفرشت دربي أنجما وحريرا)"لقد كان أبا مبارك قبيلتها ، وجزيرتها ، وشاطئها المسحور ، وخيمتها وسط الرياح ، ...وتمضي في رثاء أبيها ، ومعلّمها ، الإنسان ، الأمير ، منارة عمرها ، ودرعها ، وكتابها المأثور ، باختصار لقد كان الكويت كلها ، بأصالتها ، وحضارتها ، ومناقبها العربية ، وجذورها .. هو البحر ، الذي يفيض بشطآنه ، وسيبقى في العين الكحل ، وبخوراً في الشفاه"[1]إلى أن تقول في آخر بيت في القصيدة :

يا آخــذ الكلمــات تحـت ردائـــــه ما عدتُ بعــدك أُحسـن التعبيــرا .

هذا هو إذن بيت القصيد تعدل فيه الشاعرة عن المعنى الحقيقي للكلمات المعنوية وتجسدها بالمجاز شيئا ماديا قابلا لأن يؤخذ تحت الرداء وقد كفنت كلمات الشاعرة ووسدت التراب مع زوجها فيا له من تعبير رائع مبدع ممن تقول :" ما عدتُ بعــدك أُحسـن التعبيــرا ."

- النموذج التاسع قصيدة :وردة البحر:

كويتُ، كويتْ

موانئ أبحر منها الزمان

وواحة حبّ وبرُّ أمان

[1] السابق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كويتُ، كويتْ

شواطئ مصقولة كالمرايا

وبحرٌ يوزّع كلَّ صباحٍ علينا

ألوف الهدايا

وشاي أبي

وابتسامة أمي

ومحفظتي وجديلة شعري

وكوب الحليب قبيل الذهاب الى المدرسة

وأولُ مكتوب حبٍّ أتاني

فأشعل عاصفة في دمايا

كويتُ، كويتْ

أشِـيلُك

-حيث ذهبتُ -حجاباً بصدري

أشيلك

بُرعُم وردٍ، بأعماق شعري

أشيلك في القلب وشما عميقاً

لآخر...

آخر أيام عمري

كويتُ، كويتْ

هنا ابتدأتْ رحلة السندبادْ

هنا وردة البحر قد أزهرت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وراح ابن ماجد

يقطف نجماً... ويزرع نخلاً

ويخلق في لحظات التحدِّي بلاد

هنا الشعر والنخل يغتسلان معاً

في مياه الخليج

فجاءت ربابٌ إلى وعدنا

وبانت سعاد

كويتُ، كويتْ

وطفل المحبة بين ذراعيك طفل جميل

وزرع العروبة فيك قديم... قديم

كهذا النخيل

كويتُ، كويتْ

أحب ابتسامتك الطيبهْ

وإيقاع صوتك، إذ تضحكين

أحبك ...صامتةً متعبهْ

وأعماق عينيك إذ تحزنين

أحبك حين تكون السماء

مطرزة بالرعود، ومثقوبة بالشرر

فكيف تصيرين أجمل عند اشتداد الخطر..؟

كويتُ.... كويتْ

لقد قرر العالم العربي اغتيال الكلام

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونحن طيور مثقفة لا تطيق...

غسيل الدماغ وكسر العظام

ونحن حروف مقاتلة

سوف تهزِمُ بالشعر كل عصور الظلام

ويسعدني أن يكون تراب بلادي

مزار البنفسج والشُّهداء

ويسعدني أن تظل بلادي جزيرة حرية رائعه

بها الموج يغضب حين يشاء

ونافذة نتنشق منها الهواء

فعصر المباحث صادر منا السماء

وأدخل للسجن ضوء القمر ..!![1]

في هذه القصيدة وردة البحر تصف الشاعرة سعاد الصباح "أهلها في الكويت ، وطباعهم ، وعاداتهم ، وتصف الكويت وجمالها ، تركّز على النجوم ، والنخل ، والشعر ، وتعلن أنّ الكويت ستعود لأهلها الكرام ، وتكرر جملة كويت ، يا كويت ، عدة مرات في بداية كل مقطع ،" [2] في المقطع الأول تقول:(كويتُ، كويتْ موانئ أبحر منها الزمان) اسناد الإبحار الذي هو من فعل البشر للزمان استعارة تخرج بالكلام عن أصل وضعه ولا يكون للحب واحة إلا على سبيل الاستعارة كذلك (واحة حبّ وبرٌّ أمان) ثم تصف الشاعرة الشواطئ الكويتية بأنها (مصقولة كالمرايا) وهذا لو وصفت به امرأة حسناء لكان طبيعيا على النسق اللغوي المعتاد لكن الجرأة الأكبر من ذلك على النظام اللغوي التقليدي تأتيك حالا فها هو البحر (يوزّع كلَّ صباحٍ علينا ألوف الهدايا وشاي أبي وابتسامة أمي ومحفظتي وجديلة شعري وكوب الحليب قبيل الذهاب الى المدرسة وأولُ مكتوب حبٍّ أتاني فأشعل عاصفة في دمايا) هذه

[1] ديوان برقيات عاجلة إلى وطني قصيدة وردة البحر موقع http://souadalsabah.blogspot.com.eg/٢٠١٢/٠٤/blog-post_٤١٧٥.html

[2] مقال بعنوان "الشاعرة سعاد الصباح جدلت بضفائر شِعرها شمس الحرية ..! بقلم : محمد الزين والسلوم موقع http://souadalsabah.blogspot.com.eg/search?q

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستعارات جميعها أخذت من الإنسان وخلعت على شواطئ الكويت في عدول عن الأصل اللغوي الذي ألفه العرب .

في المقاطع التالية تستعمل الشاعرة لفظا عربيا ابتذلته الألسن حتى كاد يحسبه من لا يسبر غور العربية من الألفاظ الفصيحة[1] وهو اللفظ (شال) تقول :(أشِـيلُك -حيث ذهبتُ -حجاباً بصدري أشيلك بُرعُم وردٍ، بأعماق شعري أشيلك في القلب وشما عميقاً لآخر...أيام عمري)وهذا عدول عن اللفظ الذي يتوقعه مستمعها الأريب وهو في الأغلب من طبقة الشعراء والأدباء فتعمد إلى لفظ دارج على ألسنة العامة يحدث إثارة ودهشة لدى السامع وتكرره ثلاث مرات وهذا من خصائص معجم الشاعرة سعاد الصباح .والكويت ليس تميمة تعلق في الرقاب حتى تحمل بيد أن شاعرتنا جعلت من وطنها حجابا تتبرك به ووساما على صدرها وبرعم ورد يتفتح لكن أين يتفتح هذا البرعم ؟ يتفتح في أعماق شعرها يا لجمال هذا العدول المركب فالكويت الوطن يتحول لبرعم ورد ولا تفتح كعادة الزهور وسط الحقول والبساتين بل في أعماق أعماق شعرها وتتصاعد وتيرة العواطف الوطنية في ختام المقطع لتصير الكويت في استعارة جديدة وشما نقش على قلب الشاعرة المخلصة.

وتستعرض الشاعرة شيئا من تاريخ الكويت المجيد فتقول : (كويتُ، كويتْ هنا ابتدأتْ رحلة السندبادْ ..وراح ابن ماجد يقطف نجماً... ويخلق في لحظات التحدِّي بلاد) وابتعدت الشاعرة عن اللغة المعيارية العادية كثيرا و راحت تنشد لغة غريبة حيث جعلت النجوم تقطف وهي بالكاد ترى من آلف السنين الضوئية والقطف يكون للزهر والإنسان لا يخلق ذبابا فضلا عن أن يخلق بلادا فهي استعارة فجة كما نرى (هنا الشعر والنخل يغتسلان معاً) وتستمد هذه العبارة شاعريتها من ابتعادها عن اللغة المألوفة فسعاد الصباح استعملت فعل الغسل للشعر ورمزت إليه بـ(جاءت ربابُ إلى وعدنا - وبانت سعاد)

وتتخلى اللغة عن دلالتها الأصلية وتعدل عنها إلى الاستعارة المكنية لثير ذهن المتلقي بقولها : (وطفل المحبة بين ذراعيك طفل جميل) فحين جعلت الشاعرة للمحبة طفلا اسبغت على المحبة من صفات الكائنات الحية الأمومة والتناسل والنمو والجمال وصارت الكويت أما تحمل بين ذراعيها هذا الطفل طفل المحبة والأمر نفسه يتكرر في قولها (وزرع العروبة فيك قديم) والتبسم والضحك والصمت والتعب والحزن من أفعال الإنسان فإذا بها على لسان شاعرتنا أسندت للكويت (كويتُ، كويتْ أحب ابتسامتك

[1] في مقاييس اللغة (٣/ ٢٣٠)الشِّين ُوَالْوَاو ُوَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الِارْتِفَاعِ. مِنْ ذَلِكَ شَالَ الْمِيزَانُ،إِذَا ارْتَفَعَتْ إِحْدَى كِفَّتَيْهِ. وَأَشَلْتُ الشَّيْءَ: رَفَعْتُهُ،" وينظر لسان العرب (١١/ ٣٧٤)والمعاجم العربية مادة (شول)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطيبهْ وإيقاع صوتك، إذ تضحكين أحبك ...صامتةً متعبهْ وأعماق عينيك إذ تحزنين) وتتوارى اللغة العادية أكثر فاكثر حيث تصبح سماء الكويت حسناء تتحلى بعقد مطرز بالرعود والشهب (أحبك حين تكون السماء مطرزة بالرعود، ومثقوبة بالشرر فكيف تصيرين أجمل عند اشتداد الخطر..؟)

وبدل التعبير بمنع الكلام يجئ تعبير شاعرتنا بـ(اغتيال الكلام) وتستعيض عن تغيير الأفكار بقولها (غسيل الدماغ) وعن خوض المثقفين معركتهم الثقافية إن جاز التعبير بقولها ☹ نحن حروف مقاتلة سوف تهزِمُ بالشعر كل عصور الظلام) والحروف لا تقاتل إنما يقاتل بها أصحابها وتعبير الشاعرة أكثر مبالغة وفيه عدول عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي بإسناد صفة القتال للحروف مما يثير الدهشة ويوحي بمدى أهمية الكلمة في معارك التحرر الفكري والوطني والتعبير عن الموت بالزيارة استعارة تفيد فرحة الزائر بالشهادة (ويسعدني أن يكون تراب بلادي مزار البنفسج والشُّهداء) ويبدو التأثر هنا بقول الحقﷻ:" ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾{حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}[التكاثر:١-٢] قال الطبري "وقوله: (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) يعني: حتى صرتم إلى المقابر فدفنتم فيها"[١] وتعدل الشاعرة كعادتها عن اللغة المعيارية العادية فتسند الغضب للموج الموج يغضب حين يشاء) لكن أعجوبة الأعاجيب أن تصادر الأنظمة المستبدة السماء وضوء القمر (فعصر المباحث صادر منا السماء وأدخل للسجن ضوء القمر)

- النموذج العاشر : من قصيدة موعد مع الجنة:

ألا فانظرْ لأيامي وما أقسى لياليها

تُعذّبُني دقائقُها وتحرقُني ثوانيها

وهذي دارُنا الغنّا ءُ قد حالتْ مغانيها

وطوّفَ بائعُ الأحزا نِ في أقصى نواحيها[٢]

في هذه الأبيات آثرت الشاعرة الأسلوب العدولي كي تعبر عن حزنها الدفين لفراق ولدها الحبيب مبارك ، وما أصدق الكلمات حين تخرج من قلب أم مكلومة على فلذة كبدها من ثم أسندت للدقائق التعذيب وللثواني الإحراق و خصصت بائعا للأحزان وهذا العدول عن اللغة المعيارية العادية إلى اللغة الأدبية

[١] تفسيرالطبري = جامعالبيانتشاكر (٢٤/ ٥٨٠)

[٢] ديوان "إليك يا ولدي"قصيدة موعد مع الجنة موقع http://souadalsabah.blogspot.com.eg/٢٠١٤/٠٧/blog-post_١٤.html

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشعرية عبر المجاز والكنايات يرسم لنا صورة معبرة عن حال هذه الأم وما تعانيه من ألم الفراق .ويجذب الانتباه ويمنح النص بعدا جماليا خلابا فلله درها من شاعرة !!!!.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

العدول الدلالى فى شعر سعاد الصباح

يهدف هذا الفصل إلى إلقاء الضوء على العدول الدَّلالي وبيان مفهومه وصوره ودوره في الإبداع الأدبي . وكيف استعملته الشاعرة سعاد الصباح للتَّعبير عن المشاعر والأفكار التي ترمي إليها

المبحث الأول: العدول الدلالي ودوره في الإبداع الأدبي

- أولا :مفهوم العدول الدلالي :

مر بنا تعريف العدول فلا يحتاج إلى مزيد بيان أو تكرار فلنبحث إذن عن معنى الدلالة لغة واصطلاحا لننتقل بعدها لبيان مصلح العدول الدلالي وبيان صوره وأنواعه :

✓ الدلالة لغة :

قال ابن فارس : " الدال واللام أصلان أحدهما إبانة الشيء بأمارة نتعلمها ،والآخر اضطراب في الشيء فالأول قولهم دللت فلانا على الطريق "١ " قال ابن الأعرابي : ودُل فلان إذا هُدي "٢" ولاسم الدلالة بكسر الدال وفتحـها "٣ وذكر ابن منظور:أن الفتح أعلى قال:" والدليل ما يستدل به والدَّلِيل: الدَّالُّ. وقد دَلَّه على الطريق يَدُلُّه دَلالة ودِلالة ودُلولة، والفتح أَعلى، وأَنشد أَبو عبيد:

إِنِّي امْرؤ بالطُّرْق ذو دَلالات"٤

نخرج من هذا العرض المعجمي بأمور :

أولها: أن معنى الدلالة لغة الهداية، والإرشاد.

ثانيها : أن مطلق الإرشاد هو المراد ، دون تخصيص بلغة ، أو إشارة ، أو حدث.

ثالثها : جاءت الكلمة في الاستعمال القرآني بنفس المعنى قال تعالى :"فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته..". سورة سبا أية ١٤

---

١ مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن ذكريا تحقيق ـ عبد السلام هارون ـ دار الجيل بيروت ج ٢ ص ٢٥٩
٢ تاج العروس للإمام اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي ط ـ دار صادر بيروت ج ٧ ص ٣٣٥
٣المصباح المنير ص ٢٧ج١
٤ لسان العرب جـ١١ صـــــــ٢٤٩ دار صادر بيروت ط/ ١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

✓ الدلالة في الاصطلاح :

لقد عرف الدرس اللغوي العربي القديم مصطلح الدلالة وصفا لأداء اللفظ لمعناه ، يقول الجاحظ في سياق حديثه عن البيان :" وعلى قدر وضوح الدلالة ،وصواب الإشارة ، وحسن الاختصار، ودقة المدخل يكون إظهار المعنى ، وكلما كانت الدلالة أوضح ، وأفصح ، وكانت الإشارة أبين ، وأنور كان أنفع ، وأنجح ، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله ـ عز وجل ـ يمدحه "١وعد الجاحظ دلالة اللفظ على ا لمعنى أحد أنواع الدلالات الخمسة ويحد التهانوي مصطلح الدلالة بما تعارف عليه أهل الميزان ، والأصول ، والعربية ، والمناظرة قائلا :"الدلالة بالفتح الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء أخر، والشيء الأول يسمى دالا والشيء الأخر يسمى مدلولا، والمراد بالشيئين معا ما يعم اللفظ وغيره"٢وما خرج الاصطلاح عند المحدثين عما حده القدماء كثيرا ، فيعرف عادل فخوري دلالة اللفظ " بأن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ،ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم ، فكلما أورده الحس على النفس التفت إلى معناه "٣ وعلى ضوء كلا التعريفين نستطيع أن نعرف المقصود بهذه المصطلحات: (الدال –المدلول –النسبة)٤

١البيان والتبيين ج١ ص ٧٦ دار الجيل بيروت ت: عبد السلام هارون
٢ كشاف اصطلاحات الفنون لمحمد بن علي التهانوي الحنفي وضع الحواشي أحمد حسن ج٢ ص١١٩ ط١٩٩٨ منشورات دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ
٣علم الدلالة عند العرب ـ دراسة مقارنة مع السيماء الحديثة ـ عادل فخوري ص١٢ ط الثانية ١٩٩٤ دار الطليعة ـ بيروت ـ
٤ علم اللغة بين القديم والحديث ـ د/ عبد الغفار حامد هلال ص١٩٠ ط٣ ١٩٨٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد أسهبنا نوعا ما في بيان مفهوم الدلالة وبعضا من مفردات هذا العلم لنؤسس لمصطلح العدول الدلالي من جهة ولبيان النقلة الشاسعة التي يقوم بها المبدع لدلالات الألفاظ من جهة ثانية وكم العلاقات التي تتغير وتتولد تبعا لذلك من جهة ثالثة .وبناء على ما سبق نستطيع تعريف العدول الدلالي بأنه تغيير لدلالات الألفاظ وعدول بها عن أصل وضعها الأول لعلاقة بين المعنى الأصلي (القديم) والعدولي (الحديث) أو كما يقول جان كوهن هو انتقال "من المعنى المفهومي إلى المعنى الانفعالي "١وهذا العدول يأخذ صورا متباينة ويندرج تحته أنواع مختلفة نتعرف عليها فيما يلي:

- أنواع العدول الدلالي وصوره :

للإمام عبد القاهر الجرجاني أطروحات نفيسة للغاية حول هذه القضية يقول :"الكلامُ على ضَرْبين:

ضربٌ أنتَ تَصِلُ منه إلى الغَرضِ بدلالةِ اللفظِ وحدَه، وذلك إذا قصَدْتَ أن تُخْبِر عن "زيدٍ" مثلاً بالخروجِ على الحقيقة، فقلتَ: "خرجَ زيدٌ"، ..... وعلى هذا القياسِ.

وضربٌ آخرُ أنتَ لا تصِلُ منه إلى الغرضِ بدلالة اللفظِ وحدَه، ولكنْ يدلُّكَ اللفظُ على معناه الذي يَقْتضيه موضوعُهُ في اللغُة، ثُمَّ تَجدُ لذلك المعنى دَلالةً ثانيةً تَصِلُ بها إلى الغَرَض. ومَدارُ هذا الأمر على "الكناية" و"الاستعارة" و"التمثيل"،..... أوَ لا تَرى أنكَ إذا قلْتَ: "هو كثيرُ رمادِ القِدْر"، أو قلتَ: "طويلُ النجادِ ..فإنَّكَ في جميعِ ذلك لا تُفيدُ غرضَك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن ليدل اللفظُ على معناه الذي يُوجِبُهُ ظاهرهُ، ثم يَعْقِلُ السامعُ من ذلك المعنى، على سبيلِ الاستدلالِ، معنًى ثانياً هو غَرَضُك، كمعرفتِكَ مِنْ "كثيرِ رمادِ القدرِ" أنه مضيافٌ، ومن "طويلِ النِّجاد" أنه طويلُ القامة، ....وكذا إذا قال: "رأيتُ أسداً"، ودلَّكَ الحالُ على أنه لم يُرِدِ السبعَ، علمتَ أنه أرادَ التشبيهَ، إلا أنَّه بالغَ فجعلَ الذي رآه بحيث لا يتميِّزُ عن الأسد في شجاعته."٢ يشير الإمام عبد القاهر الجرجاني بهذا الكلام إلى دلالات الألفاظ وما يتفرع عنها من أنواع

ولم يكتف الإمام عبد القاهر بتقسيم الكلام لهذين الضربين الكبيرين إنما وضح بجلاء صور النوع الثاني فقال :" ومَدارُ هذا الأمر على "الكناية" و "الاستعارة" و "التمثيل"،....فمن هذا القبيل أبيات سعاد الصباح التي تقول فيها :

---

١ بنية اللغة الشعرية جان كوهن ص ٢٠٥

٢دلائل الإعجاز تشاكر (١/ ٢٦٢)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يَا مَرْفَئِيَ الَّذِي أَظَلُّ بِانْتِظَارِهِ

أُعَلِّقُكَ، كَحَلَقِ الزُّمُرُّدِ، فِي أُذُنِي

وَأَدْخُلُ بِكَ شَوَارِعَ لَنْدَنَ المُزْدَحِمَةَ

أُخَبِّئُكَ كَالثَّوْبِ الجَدِيدِ

فِي كِيسِ مُشْتَرَيَاتِي

أَلْبَسُكَ كَإِسْوَارَةِ الذَّهَبِ فِي مِعْصَمِي[1]

تعبر الشاعرة في هذه الأبيات عن زوجها الحبيب بـ(المرفأ – حلق الزمرد – الثوب الجديد – أسورة الذهب) وهي استعارات وتشبيهات غير تقليدية متشبعة بروح العصر يتحول فيها الزوج الحبيب إلى شاطئ الأمان الذي طال انتظاره من مسافر غريب أو غريق يرجو النجاة وتتباهى بحبها لزوجها غير عابئة بعرف أو تقليد قد يمنعها من التعبير عن مشاعرها ومرة ثانية تحول الزوج لحلق زمرد تتجمل به شاعرتنا في شَوَارِعَ لَنْدَنَ المُزْدَحِمَةَ لكن ما تلبث أن تخشى على زوجها الحبيب غائلة الحسد أو يسرقه غيرها منها فتخبئه كالثوب الجديد في كِيسِ المُشْتَرَيَاتِ أو تمسك به في معصمها كأسورة الذهب لقد عدلت سعاد الصباح بهذه الكلمات (المرفأ – حلق الزمرد – الثوب الجديد – أسورة الذهب) عن أصل معناها الذي وضعت له واستعملته هذا الاستعمال الجديد .وهذا من العدول الدلالي لاريب الذي ألمح إليه الإمام عبد القاهر في النص السابق . ونضيف إلى هذه الأنواع الثلاثة التي ذكرها صاحب دلائل الإعجاز المجاز المعجمي كما هو مبين في الشكل الآتي :

---

١ من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة الشعر والنثر لك وحدك موقع
http://souadalsabah.blogspot.com.eg/٢٠١٢/٠٤/blog-post_٢٥.html

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

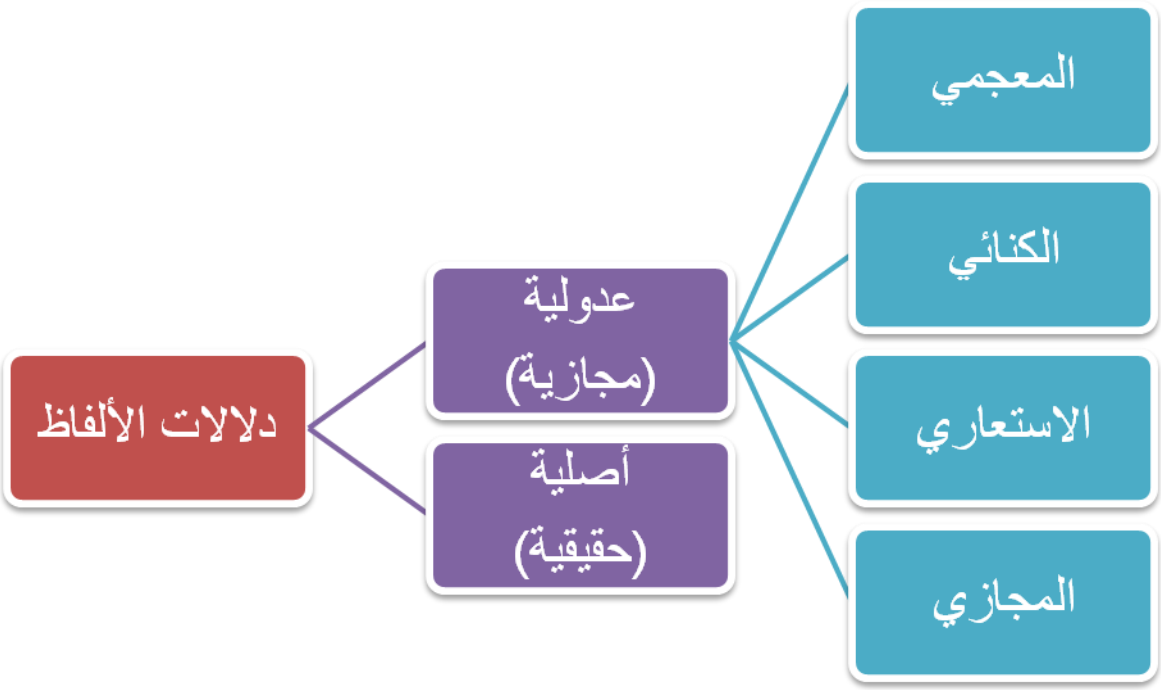

وإن كانت هذه هي الأنواع الكبرى للعدول الدلالي أو ما يمكن تسميته بوسائل العدول من مجاز واستعارة وكناية فهناك اتجاهات لهذا العدول تختلف ضيقا وسعة، حسيا ومعنويا، تعميما وتخصيصا، سموا وانحطاطا.

- اتـجاهات الـعدول الـدلالـي :-

الكلمة حين يحدث لها نوع تغير على يد الأديب أو الشاعر لا تتجه وجهة واحدة ، بل هذا الاتجاه الذي تسلكه ليس ملتزما في كل لفظة مماثلة ، إنما الأمر على درجة كبيرة من التفاوت إذ الظروف المحيطة بالكلمة ، وشخصية القائم على عملية العدول لها دور كبير في اتجاه العدول الدلالي وجهة معينة ، ومع الاعتراف بذلك كله، فلا مناص من القول بأن هناك اتجاهات غالبة على العدول الدلالي وهي :

١- تعميم الدلالة : حيث يتم إسقاط بعض الملامح التمييزية للفظ ، وهنا تتسع دلالة اللفظ لتشمل ما كانت تحجبه تلك الملامح المميزة خذ على سبيل المثال هذا الجزء من قصيدة ليلةُ القبض على فاطمة للشاعرة سعاد الصباح تقول فيه :

هذي بلادٌ لا تريدُ امرأةً رافضةً . .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و لا تريدُ امرأة غاضبةً

و لا تريدُ امرأة خارجةً

على طقوُسِ العائلةْ[1]

لم ترد مادة (ط ق س) في المعاجم العربية القديمة إنما رودت مستعملة في المعجم الوسيط بمعنى" النظام وَالتَّرْتِيب و (عِنْد النَّصَارَى) نظام الْخدمَة الدِّينِيَّة أَو شعائرها واحتفالاتها (د) وَحَالَة الجو أَو المناخ (محدثة) (ج) طقوس"[2] لكن سرعان ما عدلت الشاعرة عن هذا المعنى الخاص بنظم الخدمة الدينية وأسقطت قيد النصارى وعممت دلالة اللفظ ليشمل نظم وعادات القبيلة.

٢- تخصيص الدلالة : فيضاف للكلمة قيود جديدة تقلل من نطاق دلالتها كما وكيفا ، فمما جاء في قصيدة صيحة عربية للشاعرة سعاد الصباح:

يا بلاد الهوان، يا أم صهيون

وبالأم يعرف الأبناء..

يا بلاد المهاجرين، ومنهم

جاءنا الضائعون والدهماء[3]

حين نراجع معاجمنا العربية القديمة حول لفظ الدهماء فلن نجد في اللفظ ما يشير من قريب أو بعيد إلى ازدراء أو احتقار قال الخليل :"والدَّهْمُ: الجماعةُ الكثيرةُ، ودَهَمونا، أي: جاءونا بِمَرَّةٍ جماعةً."[4] أما حين نطالع العربية المعاصرة واستعمالاتها للفظ فسنجد الكلمة قد حملت إيحاءات سيئة وهو ما رمت إليه الشاعرة في قولها :"جاءنا الضائعون والدهماء" وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة "الدهماء عامَّةُ الناس وجماعَتُهُم "رجلٌ من الدَّهماء- مشعوذ يتلاعب بعقول الدَّهماء" ° زعيم الدَّهْماء: قائد يحصل على قوّته عن طريق المناشدة المشبوبة والمثيرة لغضب الجماهير."[5] لقد خصص اللفظ في الاستعمال المعاصر

١من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة ليلةُ القبض على فاطمة

٢ المعجم الوسيط (٢/ ٥٦١)

٣من ديوان قصيدة صيحة عربية موقع http://souadalsabah.blogspot.com.eg/٢٠١٢/٠٤/blog-post_٢٥.html

٤ العين (٤/ ٣١)

٥ معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٧٧٨)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بجماعة الأراذل من الناس وهذا قيد أضيف فضيق من دلالته العامة يدلنا على ذلك السياق الذي ورد فيه اللفظ على لسان الشاعرة وهي تهجو الصهاينة وتصف هجراتهم لفللسطين بهذه الأعداد الكبيرة .

٣- نقل المعنى: هو الصورة المباينة للمعنى القديم عكس الاتجاهين السابقين ، فتضييق أو توسيع الدلالة كان لنفس المعنى ، والمجاز الذي " يتساوى فيه الطرفان يدخل تحت هذا النوع المسمى بنقل المعنى ، أو تغيير مجال الاستعمال ، ولكن ذهب (Arlotto) إلىأن الفرق يتمثل في أن الأولين يتمان عادة بصورة غير شعورية ، أما الثالث فيتم بصورة قصدية لغرض أدبي غالبا ..."١ومن الكلمات التي تغيرت دلالتها بطريق النقل على لسان شاعرتنا سعاد الصباح كلمة لغم في قصيدة رجُل في الذّاكرة تقول.: لماذا تزرعُ الألغام في ذاكرتي ؟

فالدلالة القديمة للكلمة كما في معجم العين على سبيل المثال : "لغم: لَغَمَ البَعيرُ يَلْغَم لُغامَه لُغْماً أي رمى به."٢ومادة "اللَّامُ وَالْغَيْنُ وَالْمِيمُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ صَحِيحَةٌ، وَهِيَ الْمَلَاغِمُ: مَا حَوْلَ الْفَمِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: تَلَغَّمْتُ بِالطِّيبِ: جَعَلْتُهُ هُنَاكَ. قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ: تَلَغَّمَ بِالطِّيبِ: تَلَطَّخَ"٣ فإذا ما انتقلنا للمعاجم العربية المعاصرة وجدنا البون شاسعا والتغير الدلالي للفظ ليس من قبيل التعميم أو التخصيص بل هو نقل للدلالة كلية فالصورة الجديدة مباينة للمعنى القديم فاللغم كان مستعملا في حقل الإنسان والحيوان فاستعمل حديثا مع الجمادات وبطريقة مغايرة تماما جاء في المعجم الوسيط اللغم " شبه صندوق أَو علبة تحشى بمواد متفجرة ثمَّ يوضع مَسْتُورا فِي الأَرْض فَإِذا وَطئه واطئ انفجر"٤ أضف إلى ذلك أن الفعل زرع لا يستعمل مع اللغم إلا على وجه من المجاز كذلك فصار شائع اليوم على السنة الناس قولهم :" "زرع لَغَمًا....حَقْل ألغام: منطقة زُرعت فيها ألغام- زَرَّاعة ألغام: سفينة مجهّزة لزرع الألغام تحت الماء."٥

٤- الانتقال من المحسوس إلى المجرد : المجتمع الإنساني وهو ينتقل من طور البداوة إلى التحضر تنمو معه قدراته العقلية نظرا لكثرة معارفه ، ومن مظاهر هذا الرقي "الانتقال من الدلالات الحسية إلى الدلالات التجريدية ...الخ ثم عادة في صورة تدريجية ، تنزوي الدلالة المحسوسة،

١علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر صـــ٢٤٧ بتصرف يسير
٢العين (٤/ ٤٢٣)
٣ .مقاييس اللغة (٥/ ٢٥٥)
٤ المعجم الوسيط (٢/ ٨٣٠)
٥ معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٠١٩)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- وقد تندثر ، وقد تظل جنبا إلى جنب ، مع الدلالة التجريدية لفترة تطول أو تقصر"١من أمثلة هذا الانتقال من المحسوس إلى المجرد كلمة ثقف فالثقافة كما عرفتها شاعرتنا واستعملتها ليست هي عينها المستعملة في معاجمنا العربية القديمة تقول الشاعرة سعاد الصباح :

فمنك تعلّمت كيف أثقف ذوْقي ....ومنك تعلمتُ كيف أُثقّف عقلي

فآلة الثقاف كما يقول الخليل " حديدة تسوى بها الرماح ونحوها، والعدد أَثْقِفةٌ، وجمعه ثقف."٢ وقال ابن فارس في المعنى المحوري الأصلي الذي تؤب إليه شتى الدلالات "الثَّاءُ وَالْقَافُ وَالْفَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ إِلَيْهَا يَرْجِعُ الْفُرُوعُ، وَهُوَ إِقَامَةُ دَرْءِ الشَّيْءِ. وَيُقَالُ ثَقَّفْتُ الْقَنَاةَ إِذَا أَقَمْتَ عِوَجَهَا. قَالَ: نَظَرَ الْمُثَقِّفُ فِي كُعُوبِ قَنَاتِهِ ... حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافُهُ مُنْآدَهَا وَثَقِفْتُ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ فُلَانٍ. وَرَجُلٌ ثَقِفٌ لَقِفٌ، وَذَلِكَ أَنْ يُصِيبَ عِلْمَ مَا يَسْمَعُهُ عَلَى اسْتِوَاءٍ".٣لعل هذا هو طرف الخيط الذي امسكت به عربيتنا المعاصرة فقالت :" ثَقُفَ يَثقُف، ثَقافةً، فهو ثَقِف • ثقُف الشَّخصُ: صار حاذقًا فطنًا "انكبَّ على المطالعة حتى ثقُف"."٤وشاعرتنا قومت ذوقها وكلامها بالعلم والاطلاع من أجل زوجها وهذا الاستعمال فيه فوق الانتقال من المحسوس إلى المجرد تعميم للدلالة كذلك فصارت تطلق على الكلام والذوق هلم جر.

٦- سمو الدلالة : تختلف نظرة الجماعة اللغوية إلى دلالات الألفاظ من زمن لآخر، ومن جيل إلى جيل ، ومن بيئة إلى بيئة مغايرة فحين تحظى بعض الكلمات بشيء من القداسة والسمو من الممكن أن تكون في بيئة أخرى ،أو زمن متأخر ،أو جيل تال ليست ذات قيمة تذكر "

٧- انحطاط الدلالة : وفي سلم الاستعمال الاجتماعي قد تنزل الكلمة إلى الحضيض عبر العدول الدلالي لأن الشاعرة أشاعت ابتذالها ، فعلى سبيل المثال كلمة دهماء التى أشرنا إليها آنفا

المبحث الثانى : العدول الدلالى فى شعر سعاد الصباح

نرصد في هذا الفصل ما يصيب دلالات الألفاظ من تحول عن الأصل الذي وضعت له ، سواء أكان هذا التحول انتقالا جذريا أو جزئيا ، ونتلمس في المعجم الشعري للشاعرة سعاد الصباح هذا التحول الذي لا يمكن ان يندرج تحت المجاز والاستعارة والكناية والتي وقفنا معها في الفصل السابق إنما مبتغانا هنا ما

١علم الدلالة د/ أحمد مختار عمر صـ٢٣٨
٢العين (٥/ ١٣٨)
٣مقاييس اللغة (١/ ٣٨٢)
٤معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٣١٨)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعرف بالمجاز المنسي : (DEAD)... وهو النوع الذي يفقد مجازيته ، ويكتسب الحقيقة من الألفة وكثرة التردد .. "١ وتهدف الشاعرة من هذا العدول سد فجوة معجمية، فليست الغاية في هذا المجاز الإيضاح، أو التشبيه ، أو التأكيد، أو الاثارة والدهشة وحسب .وسنتبع في دراسة العدول الدلالي عند الشاعرة سعاد الصباح الخطوات الآتية:

أولا: نص الأبيات التي بها عدول دلالي .

ثانيا : ذكر المعنى المعجمي الأصلي للمادة .

ثالثا :. النظر في وجه العدول الدلالي للفظ أو التركيب والوقوف عليه بالشرح والتحليل.

- النموذج الأول : من قصيدة ليلةُ القبض على فاطمة . .:

هذي بلادٌ لا تريدُ امرأةً رافضةً . .

و لا تريدُ امرأة غاضبةً

و لا تريدُ امرأة خارجةً

على طقوُسِ العائلةْ٢

لم ترد مادة (ط ق س) في المعاجم العربية القديمة إنما رودت مستعملة في المعجم الوسيط بمعنى" النظام وَالتَّرْتِيب و (عِنْد النَّصَارَى) نظام الْخدمَة الدِّينِيَّة أَو شعائرها واحتفالاتها (د) وَحَالَة الجو أَو المناخ (محدثة) (ج) طقوس"٣ لكن سرعان ما عدلت الشاعرة عن هذا المعنى الخاص بنظم الخدمة الدينية وحالة الجوّ من ضغط وحرارة وبرودة ورطوبة ورياح وغيرها وعممت دلالة اللفظ ليشمل نظم وعادات القبيلة لقد عممت الشاعرة سعاد الصباح لفظ طقس بإسقاط بعض الملامح التمييزية له ، وهنا تتسع دلالة اللفظ لتشمل ما كانت تحجبه تلك الملامح المميزة.

- النموذج الثاني : السمفونيّـة الرّماديّة :

كيف بوُسعي

أن أتجاهلَ هذا الوطَنَ الواقعَ في أنياب الرُّعبْ ؟

١علم الدلالة د/ أحمد مختار عمرص٢٤١

٢من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة ليلةُ القبض على فاطمة

٣المعجم الوسيط (٢/ ٥٦١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كيفَ بوُسعي

أن أتجاوز هذا الإفلاس الرُّوحيَّ

و هذا الإحباط القوميَّ

و هذا القَحطَ . . . و هذا الجَدْبْ ؟[1]

معنا في هذا المقطع تركيبان الأول (الإفلاس الروحي):

والْفَاءُ وَاللَّامُ وَالسِّينُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، كما يقول ابن فارس :" وَهِيَ الْفَلْسُ، مَعْرُوفٌ، وَالْجَمْعُ فُلُوسٌ. وَيَقُولُونَ: أَفْلَسَ الرَّجُلُ، قَالُوا: مَعْنَاهُ صَارَ ذَا فُلُوسٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ ذَا دَرَاهِمَ."[2] لقد تم الانتقال من هذا المعنى الحسي الخاص إلى معنى آخر مجرد وعام وهو خلاء الروح من مقوماتها

التركيب الثاني : (الإحباط القومي) لعل الشاعرة تقصد بهذا المصطلح الشعور بالحزن واليأس والعجز الذي أصاب أبناء جيلها خاصة نتيجة للفشل في تحقيق أهدفٍ عربية طموحة كان يُرجى تحقيقها .فهل هذا هو المعنى الأصلي لمادة حبط ؟

الإجابة القاطعة لا فمادة حبط لها معنى حسى انتقل منه لمعنى مجرد ثم استقر لدى الشاعرة بهذا المعنى الثالث ولنبدأ رحلة اللفظ من أولها:

قال الزمخشري في الأساس :" حبط بطنه: انتفخ حبطاً بالتحريك. وفرس حبط القصيري: مجفر. وحبط جلده من السياط. ومن المجاز: حبط عمله حبوطاً وحبطاً بالسكون، وأحبط الله عمله. وتقول: إن عمل عملاً صالحاً أتبعه ما يحبطه، وإن أصعد كلماً طيباً أرسل خلفه ما يهبطه؛ استعير من حبط بطون الماشية إذا أكلت الخضر فاستوبلته وهلكت به. ومنه حبط دم القتيل: هدر وبطل."[3]

هكذا خصصت الشاعرة اللفظ واستعملته استعمالا جديدا فانتقل اللفظ من المحسوس إلى المجرد ثم إلى آخر أخص وهو (الإحباط القومي).

- النموذج الثالث قصيدة :الشِّعْرُ وَالنَّثْرُ.. لَكَ وَحْدَكَ:

---

[1] من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة السمفونيّة الرّماديّة
[2] مقاييس اللغة (٤/ ٤٥١)
[3] أساسالبلاغة (١/ ١٦٥)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَسِجْنِي.. لِأَنَّنِي خِلَالَ مُدَّةِ غِيَابِكَ مُحَاصَرَةٌ

بِالثَّالُوثِ المُقَدَّسِ؛ أَنْتَ، وَأَوْلَادُكَ، وَذِكْرَيَاتِي..[1]

تركيب (الثالوث المقدس) أصل مفرداته عربية فصيحة من مادة (ث ل ث) ومادة (ق د س) لكنه لم يرد مستعملا كتركيب في معاجمنا العربية القديمة ومن المعاجم العربية الحديثة التي نصت عليه المعجم الوسيط جاء فيه :"(الثالوث) مَا كَون من ثَلَاثَة وَمِنْه الثالوث الأقدس رمزا للأقانيم الثَّلَاثَة عِنْد النَّصَارَى [2]"

وانطلقت الشاعرة سعاد الصباح في معجمها الشعري منطلقا أرحب ووسعت من دلالة التركيب ليشير إلى أولادها وزوجها وذكرياتها وهي في ذلك متسقة مع اللغة العربية المعاصرة التي عبرت بهذا التركيب عن كل "ما رُكِّب من ثلاثة "القصيدة نتاج تفاعل ثالوثٍ مكوَّنٍ من الشاعر والكون واللغة" الثَّالوث الحكوميّ: الجيش والقضاء والإدارة."[3]

- النموذج الرابع : من قصيدة سّيد الحبّ:

أعرف رجلا، يستعمرني

ويُحرّرني

أعرف رجلاً أسطوريًا[4]

في هذا المقطع من القصيدة لفظان عدلت بهما الشاعرة عن أصل وضعهما الدلالي:

اللفظ الأول: ورد في قولها :"أعرف رجلا، يستعمرني" أي يقهرني ويستعبدني يدلنا على أن هذا هو مرادها من ذلك اللفظ قوها في البيت التالي مباشرة "ويُحرّرني" وهذا الاستعمال المعاصر الذي شاع على ألسنتنا اليوم مغاير لأصل المعنى المعجمي والاستعمال العربي القديم بل هو نقل للفظ في ضد معناه قال صاحب لسان العرب "وأَعْمَره المكانَ واسْتَعْمَره فِيهِ: جَعَلَهُ يَعْمُره. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيها ؛ أَي أَذِن لَكُمْ فِي عِمارتها واستخراجِ قومِكم مِنْهَا وجعَلَكم عُمَّارَها. والمَعْمَرُ: المَنْزِلُ الْوَاسِعُ

---

[1] من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة الشِّعْرُ وَالنَّثْرُ.. لَكَ وَحْدَكَ

موقعhttp://souadalsabah.blogspot.com.eg/٢٠١٢/٠٤/blog-post_٢٥.html

[2]المعجم الوسيط (١/ ٩٩)

[3]معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٣٢٣)

[4]من ديوان خذني إلى حدود الشمس قصيدة سّيد الحبّ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مِنْ جِهَةِ الْمَاءِ والكلإِ الَّذِي يُقامُ فِيهِ؛ "١ فأين هذا المعنى مما تفعله الدول الكبرى التي تحتل دولا أخرى من التنكيل بشعوبها واستنزاف مقدراتها وثرواتها فلفظ استعمار " Colonization *يطلق اليوم ويراد به " تسلط أمة على أمة أخرى وتحكمها بفكرها وقيمها واقتصادها وقوتها العسكرية"٢

وقد استعملت الشاعرة هذا اللفظ بهذا المدلول المستحدث في إطار أخص وهو علاقتها بزوجها سيد الحب كما تقول .

اللفظ الثاني : جاء في قولها وهي تمتدح زوجها "أعرف رجلاً أسطوريًا" أي بطلا خارقا والسياق الذي استعمل فيه اللفظ أغلبه جاء في سياق الذم فـ" الأَساطِيرُ : الأَباطِيلُ. والأَساطِيرُ: أَحاديثُ لَا نِظَامَ لَهَا، ...وسَطَّرَ عَلَيْنَا: أَتانا بالأَساطِيرِ. اللَّيْثُ: يُقَالُ سَطَّرَ فلانٌ عَلَيْنَا يُسَطِّرُ إِذا جَاءَ بأَحاديث تُشْبِهُ الْبَاطِلَ. يُقَالُ: هُوَ يُسَطِّرُ مَا لَا أَصل لَهُ أَي يُؤَلِّفُ .... يُقَالُ: سَطَّرَ فلانٌ عَلَى فُلَانٍ إِذا زَخْرَفَ لَهُ الأَقاويلَ ونَمَّقَها، وَتِلْكَ الأَقاويلُ الأَساطِيرُ والسُّطُرُ. "٣و الشاعرة سعاد الصباح لا تريد بالاسطورة هنا الاباطيل إنما هو "اسم منسوب إلى أُسْطورة.- غير واقعيّ أو غير حقيقيّ "حكايات أسطوريّة" بطولة أسطوريّة: خارقة للعادة- شخصيّة أسطوريّة: قامت بأشياء تبدو خارقة للعادة لا وجود لها إلاّ في الأساطير."٤

وشاعرتنا حين تسأل محبوبها لماذا تزرعُ الألغام في ذاكرتي ؟ قد عدلت عن الأصل اللغوي ثلاث مرات فأولا الألغام ليست نبتات تزرع وثانيا كلمة اللغم بدلالتها المعروفة اليوم مولدة مستحدثة وثالثا يستحيل أن تزرع الألغام في الذاكرة حقيقة بل هي صورة مجازية تصور بها الشاعرة سعاد الصباح حالها مع ذكريات الزوج الحبيب .

---

١ لسان العرب (٤/ ٦٠٤)

٢معجم لغة الفقهاء (ص: ٦٢)

٣لسان العرب (٤/ ٣٦٣)

٤معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٩٤)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والآن نلخص مظاهر العدول الدلالي عند الشاعرة سعاد الصباح التي مرت بنا في النماذج السابقة من خلال الشكل الآتي:

المادة	اللفظ المستعمل	الدلالة الأصلية	الدلالة المستحدثة لدى الشاعرة	نوع التغير الدلالي
(ث ق ف)	أثقف	إِقَامَةُ دَرْءِ شيء محسوس	تقويم الذوق والكلام بالعلم والاطلاع	تعميم دلالي
(ث ل ث) (ق د س)	الثالوث المقدس	رمزا للأقانيم الثَّلَاثَة عِنْد النَّصَارَى	تشير إلى أولادها وزوجها وذكرياتها	تعميم دلالي
(ح ب ط)	إحباط	ألم وإبطال وهلاك	عجز ويأس	نقل للدلة
(د هـ م)	الدهماء	الجماعة الكثيرة من الناس	جماعة محتقرة من الناس	تخصيص دلالي
(س ط ر)	أسطوريا	أباطيل وخرفات	رجل خارق للعادة	نقل دلالي
(ض ر س)	تضاريس	تحزيز ونَبْرٌ في شيء مادي	ارتفاع وهبوط شدة ورخاء الأيام	تعميم دلالي
(ط ق س)	طقوس العائلة	النظام وَالتَّرْتِيب و (عِنْد النَّصَارَى)	عادات وتقاليد القبيلة	تعميم دلالي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(ع م ر)	تستعمرني	إعمار وبناء	إذلال وقهر	نقل دلالي
(ف ل س)	إفلاس	الافتقار التام	الخواء الروحي	تعميم دلالي
(ل غ م)	الألغام	مَا حَوْلَ الْفَمِ	علبة تحشى بمواد متفجرة ثمَّ توضع مَسْتُورة فِي الأَرْض فَإِذا وَطئها واطئ انفجر	نقل دلالي

وبوجه عام، فإن هذا الضرب من ضروب العدول، أى العدول الدلالى دلّ على اتساع ثقافة الشاعرة من وجه ، وعلى تمكنها من ناصية لغتها من وجه آخر ، وهو عنوان آخر من عناوين عبقريتها الشعرية التى تناولناها خلال هذه الدراسة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة والنتائج والتوصيات

تناول الباحث فى هذه الدراسة شعر الشاعرة الكويتية المعروفة سعاد الصباح من منظور الدراسات الأسلوبية وتحديدا بهدف استكشاف مفهوم العدول ومدى اتقانها لهذه التقنية الفنية بابعادها المختلفة ومدى قدرتها على توظيفها فى شعرها . وقد اقتضى البحث ان نتعرف على مفهوم العدول سواءمن منظور اللغويين العرب القدامى والمحدثين وأضرابهم من اللغويين غير العرب، وقد انتهينا إلى تعريف العدول وتحليله إلى ضروبه المتنوعة وهى العدول التركيبى والعدول الصرفى والعدول الدلالى، وقد تناول الباحث كل مفهوم منها بالتحليل والاستبيان للوقوف على تعريف مرضى يتم من خلاله الغوص فى العالم الشعرى للشاعرة لمعرفة مدى استيعابها هذه المفاهيم وتطبيقها لها، وقد انتهى البحث فى ضوء الفرضيات الأساسية إلى جملة من النتائج على النحو الآتي :

١- العدول من أهم المفاهيم البلاغية التى لقيت عناية كبيرة من اللغويين البلاغيين، و لم يغب المفهوم عن فطنة اللغويين العرب القدامى إذ تناولوه فى دراساتهم، لكن أخذ لديهم مفاهيم متنوعة مثل: الانزياح، والانتهاك، والخروج، والفضيحة، والكسر، والخرق، و الابتعاد، والتشويش، والمجاوزة، و الغرابة، والإخلال، والانحناء، وغيرها.

٢- حظى العدول التركيبى والعدول الدلالى بعناية أكبر لدى العلماء المختصين فى حين لقى العدول الصرفى عناية أقل مع أهميته البلاغية وبخاصة فيما يتعلق باستيعاب أحد أوجه الإعجاز القرآنى، غير أن هناك غير واحد من العلماء، كالرمانى من القدامى قد أو لوا هذا من العدول اهتماما خاصا وابرزوا جوانب منه.

٣- جاءت رؤية اللسانين الغربيين والعرب المحدثين حول العدول تعتد به اعتدادا كبيرا وتوليه اهتماما منقطع النظير كأداة لتحليل النصوص الأدبية وتمييز ما بها من أوجه الإبداع، ولذا كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأسلوبية والأسلوب وكانت " جسرا بين الأدب وعلم اللغة والنقد الأدبي والبلاغة

٤- أثبتنا تعريفا للعدول التركيبى بأنه ذلك الضرب من العدول الذى يلحق بنية الجملة لأغراض يقتضيها المقام ويلحظها منتج الجملة حال صياغته له

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥- ارتضينا تعريفا للعدول الصرفى بأنه خروج عن القاعدة اللغوية في مستواها الصرفي (بنية الكلمة) لغرض دلالي . فالمتكلم يعدل عن أصل البنية بإجراء تصريفي ويحول صيغة اللفظ لصيغة أخرى من أجل معان إضافية لا تستطيع الصيغة المعدول عنها الوفاء بها .

٦- أنتهينا إلى تعريف العدول الدلالى بأنه تغيير لدلالات الألفاظ وعدول بها عن أصل وضعها الأول لعلاقة بين المعنى الأصلي (القديم) والعدولي (الحديث) أو كما يقول جان كوهن هو انتقال "من المعنى المفهومي إلى المعنى الانفعالي.

٧- كانت الشاعرة سعاد الصباح واعية كل الوعى بظاهرة العدول بأطيافها المختلفة وأستطاعت أن توظف تلك التقنيات بأشكالها وأجناسها المختلفة فى شعرها توظيفا حسنا موفقا.

٨- للدراسات الأسلوبية أهمية كبيرة بما تكشف من خبايا النص ، وبما تجلى من أسرار تتعلق بقدرة الشعره ومعجمه اللغوى ، ويعتبر عطاء اللغويين قدامى ومدثين عطاء معجبا يستحق العناية والمراجعة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التوصيات:

أما ما يوصى به الباحث فى ضوء هذه الدراسة فيمكن بلورته فيما يلى :

١- العناية بالدراسات الاسلوبية بوجه وبظاهرة العدول بوجه خاص وتوجيه جهود لاعادة استكشاف أدبنا العربى فى ضوء هذا المفهوم وغيره من المفاهيم البلاغية الحديثة.

٢- الاستفادة من جهود اللغوين العرب القدامى ومن ثمرات التراث العربى الرائع مع عدم الانغلاق عليه وضرورة الاستفادة المستمرة مما تنتهى إليها الدراسات النقدية والبلاغية شرقا وغربا.

٣- تمثل تجربة الشاعرة سعاد الصباح الشعرية تجربة فريدة وبرغم كثرة ما كتب عنها نسبيا إلا أن هناك جوانب فى تجربتها الشعرية يمكن أن تكون موضوعا شيقا لدراسات علمية شيقة.

٤- يمكن تطبيق ما انتهى إليه هذا البحث من تعريف لمفهوم العدول وصوره وضروبه ليكون أداة لقراءة التجربة الشعرية لعدد من أدبائنا .من روائيين وشعراء وغيرهم.

٥- ينبغى الاهتمام بالأدب النسوى الحديث بوجه خاص وتجلية جوانب الإبداع فيه حيث هناك الكثير مما لم يمس بعد فى هذا الصدد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المراجع والمصادر

- القرآن الكريم
- أحمد محمد ويس: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي. اتحاد الكتاب العرب. دمشق.(د ت).
- أبو بكر الباقلاني : إعجاز القرآن ، تحقيق ، أبو بكر عبد الرزاق، مكتبة مصر ، مصر ، ١٩٩٤م.
- أبو الفتح عثمان بن جني : الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، دار الكتب المصرية ،ط٢، ١٩٥٧م.
- ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الشيباني الجزري(ت ٦٣٨هـ):المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق الدكتور بدوي طبانة والدكتور محمد الحوفي، مطابع الفرزدق التجارية، دار الرفاعي للنشر، الرياض ١٩٨٣م.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل(ت ٤٥٨هـ): المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار، القاهرة ، ١٩٥٨م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت ٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، اعتنى به محمد عوض مرعب وأخرى، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ): لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ،١٩٨٥هـ الأنحراف الأسلوبي (العدول) في شعر أبي مسلم البهلاني (١٨٦٠م ــ ١٩٢٠م) : د. أحمد علي محمد ، مجلة جامعة دمشق مج ١٩، العدد (٣ــ٤)،٢٠٠٣م.
- الخطيب، القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالقزويني(٧٣٩هـ) ، تح : لجنة من أساتذة اللغة العربية بالجامع الأزهر ، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى- بغداد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨م.
- سلطان، منير، بلاغة الكلمة والجملة والجمل : ، منشأة المعارف ، الأسكندرية ، ١٩٨٨م.
- حسنطبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية. دار الفكر العربي. القاهرة. ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- مصلوح، سعد: الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ، علم الكتب ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٩٢م.
- فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ، الكويت ، ١٩٩٢م.
- المسدي، عبدالسلام: الأسلوبية والأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط٢، ١٩٨٢م.
- المسدي، عبدالسلام: قضايا العلم اللغوي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٩٤م.
- القوريزي، عوض حمد : المصطلح النحوي نشأته وتطوره ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط٢، ١٩٨٣م
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ): كتاب العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي وآخر، مطابع كويتا تايمز، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢م.
- الفيروز آبادي، مجد الدين: القاموس المحيط ،مكتبة النوري ، دمشق ، (دـ ت).
- السعدني، مصطفى: العدول أسلوب تراثي في نقد الشّعر. منشأة المعارف. الإسكندرية.١٩٩٠م.
- ربابعة، موسى سامح: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها ، دار الكندي ، الاردن ، ٢٠٠٣م .
- حسان، تمام: البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٣م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- عبد المطلب، محمد: جدلية الأفراد والتركيب : ، الشركة المصرية العالمية للنشر والطباعة ، ١٩٩٤م.
- خطابي، محمد : لسانيات النص : ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩١م.
- الصباح، سعاد: ديوان خذني إلى حدود الشمس ، دار الصباح للنشر والتوزيع ، ١٩٩٧م.
- الصباح، سعاد: ديوان في البدأ كانت أنثى : سعاد الصباح ، منشورات رياض الريس ، لندن ، ١٩٨٨م، والقاهرة ١٩٩٢م.
- الصباخ، سعاد: ديوان قصائد حب ، إصدار دار سعاد الصباح ١٩٩٢م
- الجرجاني ، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق : محمد رضوان الداية ، فائز الداية ، مكتبة سعد الدين ـ دمشق ، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧
- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ،تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ،ط١٩٨٧،٤م.
- فضل، صلاح ، علم الأسلوب – مبادئه وإجراءاته ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ـ القاهرة.
- أبو موسى، محمد محمد، مراجعات في أصول الدرس البلاغي ، مكتبة وهبة-القاهرة،ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- هنداوي، أحمد يوسف، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٢م،
- بن ذكريا، أبي الحسين أحمد بن فارس، مقاييس اللغة تحقيق ـ عبد السلام هارون ـ دار الجيل بيروت ج ٢ ص ٢٥٩
- الزبيدي، السيد محمد مرتضى، تاج العروس للإمام اللغوي ط ـ دار صادر بيروت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الجاحظ ، البيان والتبيين ج١ دار الجيل بيروت ت: عبد السلام هارون
- التهانوي، محمد بن علي الحنفي، كشاف اصطلاحات الفنون وضع الحواشي أحمد حسن ج٢ ط١٩٩٨ منشورات دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ
- عادل فخورى ، علم الدلالة عند العرب ـ دراسة مقارنة مع السيماء الحديثة ط الثانية ١٩٩٤ دار الطليعة ـ بيروت ـ
- تمام ، حسان: المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة، حسان تمام، مجلة فصول، القاهرة، عدد٣-٤، ١٩٨٧م ص٢٨.
- ابن الاثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تحيي الدين عبد الحميد (٢/ ١٢)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com